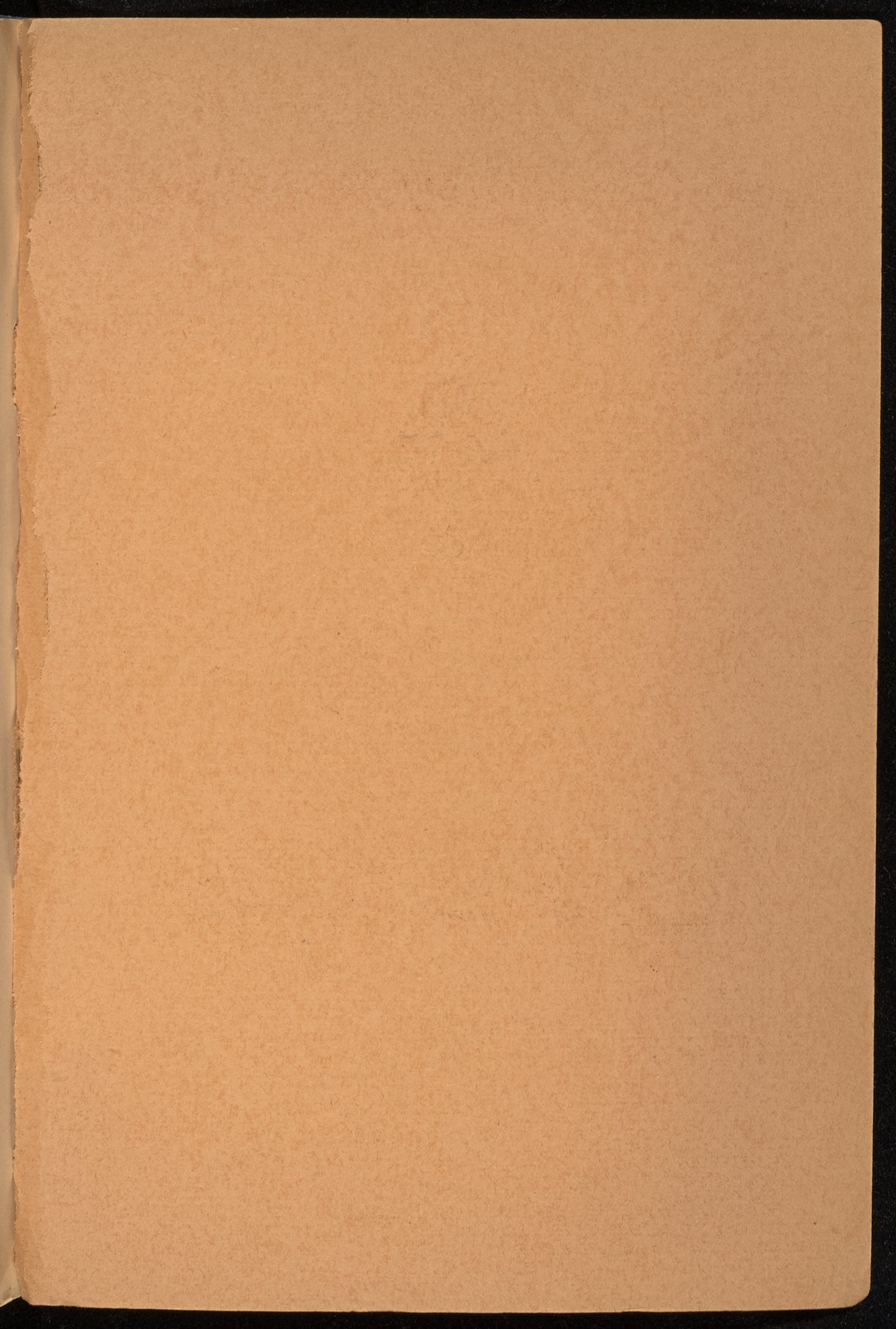
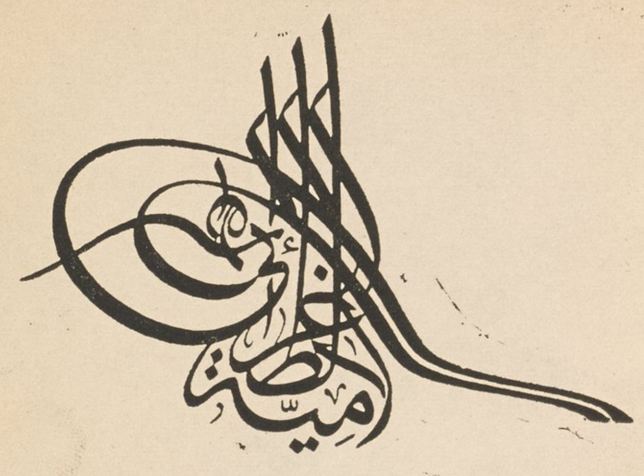

K

علي جواد الطاهر

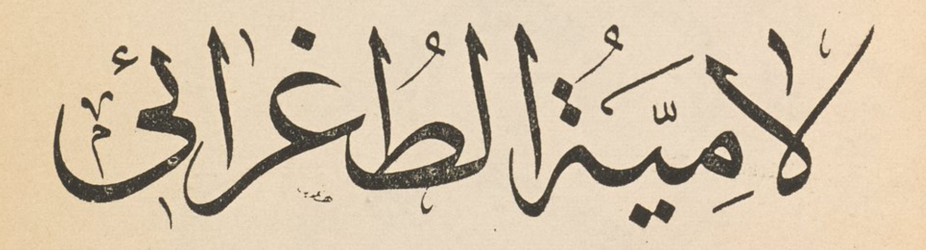



# لامية الطغرائي










بغداد ـ ١٩٦٢

مطبعة العاني

## مقـــدمة

عرفت الطغرائى عام ١٩٤٣ ، ولم أنسه بعـد ذلك ، ولم أفارقه فى القاهرة أو باريس . وكان ركنا مهما من اطروحتي الرئيسة في « الشعر العربى فى العراق وبلاد العجم فى العصر السلجوقى » .

حتى اذا كانت المناقشة فى السوربون ( شباط ١٩٥٤ ) لاحظ الاستاذ شارل بللا ـ أحد المناقشين ـ ان الاطروحة تذكر لامية الطغرائى وتشيد بها هنا وهناك دون أن تخصها ببحث مستقل مسهب . والملاحظة صحيحة ، فما جاء عن اللامية فى الأطروحة لا يفيها حقها ولا يطلع القارىء على حقيقتها ولا يذكر نصها ولا يشرحها ويحللها ويناقش الآراء فيها .

وكتب لي بعد ذلك أن أدرس هذه اللامية فى دار المعلمين العاليـة وكلية الآداب ببغداد فاطلعت علي جوانب مجهولة منها ووقفت على أسرار من جمالها ومعلومات جـديرة ببحث مستقل ، وازددت ايمانا بصـحة رأى الاستاذ بللا .

وهانذا أحاول أن أقدم هذه الدراسة فى التحقيق والتحليل ـ راجيا ألا تكون الاخيرة فى بابها .

# ١

في عام ٤٤٧ هـ دخل طغرلبك السلجوقي بغداد ، وقضى بذلك على البويهيين ، ودخلت فى ملكه رقعة واسعة قوامها العراق وبلاد العجم .
وتوفى عام ٤٥٥ فتولى بعده السلطنة من آل سلجوق :

| | |
|---|---|
| الب أرسلان | ٤٥٥ – ٤٦٥ |
| ملكشاه | ٤٦٥ – ٤٨٥ |
| محمود بن ملكشاه | ٤٨٥ – ٤٨٧ |
| بركياروق | ٤٨٧ – ٤٩٨ |
| محمد | ٤٩٨ – ٥١١ |
| محمود | ٥١١ – ٥٢٥ ... |

ولم يتخذ السلاجقة بغداد عاصمة لهم ، وان أقام أكثرهم فيها مددا محدودة ، ويمكن القول ان مقرهم كان في أصبهان .

وكانت الوزارة منصبا مرموقا فى الدولة ، وقد يمسك الوزير ، اذا كان كبيرا ، بمهام الدولة كلها .

وتلي الوزارة الدواوين : الاستيفاء ، الاشراف ، الانشاء والطغراء .. والطغرائى هو صاحب الطغراء – وهى « الطرة التى تكتب فى أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الغليظ ، ومضمونها نعوت الملك الذى صدر الكتاب عنه »[1]. ويضم ديوان الطغراء : الرسائل والانشاء ويتولى صاحبه

---

(١) ابن خلكان ١ : ٢٨٤ ؛ ياقوت ١٠ : ٥٧ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طغراء . – « واللفظة اعجمية محرفة من الطرة » وفى ابن جماعة انها علامة تكتب على التوقيعات .

شؤون الوزارة فى الصيد[٢] .

عاصر هؤلاء السلاجقة من خلفاء بنى العباس :

| | |
|---|---|
| القائم | ٤٢٢ - ٤٦٧ |
| المقتدي | ٤٦٧ - ٤٨٧ |
| المستظهر | ٤٨٧ - ٥١٢ |
| المسترشد | ٥١٢ - ٥٢٩ ... |

وبغداد هى مقر الخلافة ، وسلطة الخليفة دينية فقط ، والسلاطين يرعونه ويتظاهرون باحترامه ، ولكنهم لا يتورعون من مخالفة أمره أو اهانته اذا اقتضت مصلحتهم . فلم يكن للخليفة الا الاسم « لا يتعدى حكمه بابه ولا يتجاوز جنابه » . وربما حانت للخليفة فرصة او كان له حظ من الطماح فتململ كما حدث للمستظهر يوما ما ، أو كما أعلنها المسترشد حربا على السلطان ..

وتتألف حاشية الخليفة من الوزير وكاتب الانشاء وصاحب المخزن وكاتب الزمام واستاذ الدار ..[٣]

فى هذا العصر عاش الطغرائى

وهو أبو اسماعيل مؤيدالدين الحسين بن علي بن عبدالصمد المشهور بالطغرائى[٤] .

ولد عام ٤٥٣هـ/١٠٦١م ، فى جَيّ من أصبهان فى أسرة من ولد أبى الاسود الدؤلى[٥] .

---

(٢) الاصبهانى ، النصرة ، البندارى ، الزبدة ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٤ ، ١١٧ .

(٣) للتوسع فى هذه المقدمة ينظر الطاهر فى « المدخل » من كتاب الشعر العربى فى العراق وبلاد العجم فى العصر السلجوقى ١ : ٣٩ - ٧٠ .

(٤) فصل المؤلف حياة الطغرائى ومصادر دراسته فى كتابه « الشعر العربى .. فى العصر السلجوقى » ، وتنظر مقالته عنه فى المجلد السادس من مجلة « الاستاذ » ، وفى العدد الاول من مجلة « كلية الآداب » . وينظر الوهابى ٣ : ١٣١ - ١٣٣ ، آقا بزرك ص ٦٤٨ - ٦٤٩ .

(٥) وزاد العماد : « قال والدى هو نسيبنا من قبل الاخوال » .

وقد ألم بمعارف عصره ، وقال الشعر ، وأحس فى نفسه طماحا الى المناصب فانخرط فى سلك الكتاب يتقرب من المتنفذين والوزراء كمعين الملك ونظام الملك ، ودلف الى السلاطين فخدم ملكشاه ، ثم ولده محمدا .

وبعد أن تقلب فى حلو العيش ومره أصبح نائبا فى ديوان الطغراء فى وزارة الخطير . حتى اذا توفي الطغرائي الاصيل عام ٥٠٥ جلس مؤيدالدين مكانه في ديوان الطغراء وصدر الانشاء . « ولم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضاهيه فى الترسل والانشاء[٦] » .

ولا شك انه ابتهج كثيرا للمنصب الذى هو أهله ، والذى حقق به هدفا طالما سعى اليه ، فهو يطمع بالصدارة ولا يرضى لنفسه أن يبقى كاتبا بين كتاب كثيرين ، أو نائبا يعيش ظلا لغيره . ثم انه لا يسعى الى ديوان الطغراء من أجل ديوان الطغراء ، ان هذا لا يكفيه ، وما هو الا مرحلة تقربه من الهدف الابعد .

ولم يكن فى افكاره تلك بالخيالى الذى يطلب ما ليس له او يزحم انسانا بعيدا عنه . انه فى الثانية والخمسين وقد رأى كثيرا ، ويكفيه انه رأى نظام الملك ، ولم يبق فى المعاصرين مثل نظام الملك كى يحترمه ويكبره وكى يحد من مطمحه . ليس هؤلاء القابضون على أزمة الدواوين أقدم منه أو أقدر أو أجل . وليس هذا المتربع على دست الوزارة والملقب « بالخطير » أفضل منه . ان الخطير لا يزيد عن « جبة وعمامة »[٧] بينما مثل الطغرائى الخبرة والعلم والفضل .

والسلطان محمد لم يكن بذلك السلطان الذى رآه يوم حكم الب ارسلان أو ملكشاه .

ان من حق الطغرائى ان يطمح ، وان يسعى الى الوزارة ، لانه يريد

---

(٦) على رضائى عن العماد ، ياقوت ١٠ : ٥٨ . وروى على رضائى انه « تولى الاستيفاء » . وفى التعليقة ما يدل على ان السلطان محمد ولاه « اشراف المملكة فى بعض الاوقات .

(٧) ديوان الطغرائى ١٢٨ .

أن يحقق ذاته وأن يحكم وأن يصول ويجول .

وطبيعى أن تنعكس هذه الافكار على سلوكه ، وطبيعى أن يحس بها الصدور فيتتبعوا حركاته وسكناته ، ويفسروا كل نأمة ، ويحسدوا ويحقدوا ويشوهوا الحقائق ويختلقوا الاباطيل ، ويصبح ديدنهم ازاحة الطغرائى عن طريقهم ، والاستعانة فى سبيل تلك الغاية بكل وسيلة .

وها هم اولاء يقتربون من غايتهم ، ويغيرون عليه قلب السلطان ، ويؤلبون اللؤماء ، ويحدون من كلمته ويحطون من مكانته ، فلم يبق له ذلك الاسم ، ولم يعد له ذلك النفوذ ولقد بات فى هم وقلق وبين اقدام واحجام ، وماذا عساه أن يفعل ازاء طغمة ألفت الدسائس واستسهلت الكذب . أيبقى في منصبه ، والمنصب عزيز عليه اثير لديه ؟ ولكن ما قيمة هذا المنصب الذى جرد من روحه . أيعتزل ؟؟ :

أبى الله ان اسمو بغير فضائلى ... اذ ما سما بالمال كل مسوَّدِ
وان كرمت قبلى اوائل اسرتى ... فاني بحمد الله مبدأ سؤددي
يذم لاجلى المهر ان يكب مرة ... بجدى وان ينهض بجدى يحمد
وما منصب الا وقدريَ فوقه ... ولو حطّ رحلي بين نسر وفرقد
اذا شرُفت نفس الفتى زاد قدرهُ ... على كل اسنى منه ذكرا وأمجدِ

★ ★ ★

تكاد ترى من لا يقاس نجاده ... بشسعى اذا ما ضمنا صدر مشهد
وما المال الا عارة مستردة ... فهلا بفضلى كاثرونى ومحتدى
وان اناسا صرت جار بيوتهم ... عباديد شذر فصلت بزبرجد
يسر بقربى منهم كل أصيد ... ويكره كوني منهم كل أنكد
واصحب منهم سائسا غير حازم ... واتبع منهم غاويا غير مهتد
اذا لم يكن لي في الولاية بسطة ... يطول بها باعي وتسطو بها يدي
ولا كان لى حكم مطاع أجيزه ... فارغم اعدائى واكبت حُسدى
ولم بغش بابي موكب بعد موكبٍ ... مخافة ايعاد وتأميل موعد
فأروح من هذا اعتزال يصوننى ... صيانة مطرور الغرارين مغمد

فأعذر ان قصرت فى حق مجتدٍ — وآمن ان يعتادنى كيد معتدى
أأكفى ولا أكفي وتلك غضاضة — ارى دونها وقع الحسام المهند
ولولا تكاليف العلى ومغارم — ثقال واعقاب الاحاديث فى غد
لأعطيتُ نفسى فى التخلى مرادَها — فذاك مرادى مذ نشأت ومقصدي
من الحزم أن لا يضجر المرء بالذي — يعانيه من مكروهة فكأن قد
اذا جلدي فى الامر خان ولم يعن — مريرة عزمي ، ناب عنه تجلُّدي[٨]

انها لنفثة حارة صدرت عن أعماق صدر تمور به المطامع وتصطرع فى جنباته الرغبات وتكتنفه ظروف عصيبة ؛ تدفعه حينا الى الفخر والكبرياء واعلان كنوز شخصيته ، وترغمه طورا الى هجو أعدائه وتعرية ما فى نفوسهم من حقد ورخص وحطة .. وهو بين أخذ ورد ، حتى ليكاد يقبل ضيما ، ثم لا يلبث أن يعود الى كرامته ومكانته فيضطرم ويثور .. ثم يحاول أن يهدأ ويتجلد و « يفلسف » الاحوال ؛ فما زالت فيه بقية من أمل ، وما كان لرجل يعرف بالطغرائى أن يستسلم بيسر .

هو فى بغداد ليس بأسعد حظا مما كان عليه فى أصفهان . ولم يجد عند الخليفة ( المستظهر ) ما كان ينتظر ، وحتى مايمكن أن يكون جزاء على فضل سابق وخدمة سابقة . ومثل الخليفة حاشيته . وليس من السهل على الخلافة أن تختص رجلا لم ترض عنه السلطنة .

واذن فقد وقعت الواقعة

وعزل الطغرائى من ديوانه عام (٥٠٥) ، وتلك مصيبة عظمى ومضاعفة ، فلقد خسر الديوان فى الوقت الذى كان يحدث نفسه بالوزارة.

وهذا صميم دافع حداه الى نظم قصيدتين طويلتين عامرتين : بائية ولاميّة .

وفى البائية[٩] :

أهاب به داعى الهوى فأجابا — وعاوده نكس الصبا فتصابى

(٨) الطغرائى ، ديوانه ، ٥٩ .
(٩) نفسه ٥٦ ـ ٥٨ .

بعد مقطع غزلي يعلن هجر العراق :

ملت ثوائي بالعــــراق وملّني    رفاقي وكانوا بالعــــراق طرابا

ويبين خيانة الصحاب اياه ، ويذم أهله وتقلبهم ، ويعتب على الخلافة ، ويحاسب شخصا اسمه « زريق » • ثم يتذكر بلاده :

لعمرك ما فارقت ربعي عــــن قِلىً    ولا رضيت نفسي ســواه مــآبــا

ولــكن تكاليف السيادة جعجعت    بــرحلي ودهــر بالحوادث رابــا

وأما اللامية فهي :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل    وحلية الحلم زانتني لدى العطــل

وقد قالها في العام (٥٠٥) نفسه ، وأفرغ فيها كل ما كان يخامره من مشاعر وأفــكار ، ولا شــك أنه أعجب بهــا ، وارتاح اليهــا ، وقرأهــا واستعادها وظل يرويها للمقربين أمثال الشهرزوري وابن الشجري وابن الاخوة ، والمعجبون حوله يستعيدونها و «يتراوونها»[١٠]•

ثم جمع ديوانه [١١] بنفسه فكانت اللامية بارزة فيه ، وذكرها نصاً المؤلفون الذين أفاضوا في ترجمة الطغرائي من أمثال العماد وياقوت وابن خلــكان ثم جاء الصفدي فأفاض في شرحها وأطال •

واننا اليوم ، كي ندرس نص اللامية جيدا لابد لنا من اثبات أصح نص وبيان الاختلافات التي طرأت عليها • وبمعنى أدق : لابد من تحقيق القصيدة تحقيقا علميا • وقد اعتمدنا لذلك المصادر الآتية ـ المبينة رموزها ازاءها :

ل ـ مخطوطة ديوان الطغرائي المحفوظة في المتحف البريطاني بلندن • رقم ٧٥٥٨ وهي انموذج لمجموعة النسخ التي تتبع في نظامها حروف الهجاء للقوافي • وتنص مقدمتها على ان الذي جمعها

---

(١٠) ابن جماعة •

(١١) الطاهر ، الشعر العربي ٩٧ ـ ٩٩ ( ولم يرد هناك كلام على نسخة راغب باشا ) •

هو الشاعر نفسه .

غ ـ مخطوطة ديوان الطغرائى ، نسخة راغب باشا المحفوظة بمكتبة استانبول رقم ١١٠٧ ، وتقع اللامية بين الورقة ٥٢ـ٥٥ منها . وهى انموذج لمجموعة النسخ المرتبة على نظام يكاد يتبع طريقة الموضوعات . ولعلها بوبت كذلك بعد وفاة الشاعر[١٢] .

يا ـ النص الذى أورده ياقوت الحموى فى كتاب « ارشاد الاريب » المعروف « بمعجم الادباء » . وقد اعتمدنا طبعة دار المأمون .

خ ـ النص الذى أورده ابن خلكان فى « وفيات الاعيان » وقد اعتمدنا طبعة مطبعة الوطن ١٨٩٩ .

ص ـ النص الذى عقد عليه الصفدى شرحه المسمى « الغيث المسجم فى شرح لامية العجم » والمطبوع عام ١٣٠٥ فى القاهرة . وقد أفدنا منه فى المقابلة واقتبسنا للشرح .

أما الديوان المطبوع ( الجوائب ١٣٠٠ ) فلم نر ان نستشيره ، لكثرة أخطائه وتصحيفه ، ولم نشر اليه الا عند الضرورة القصوى[١٣] .

---

(١٢) وقد يكون جامعها بعض احفاده ( ينظر حاج خليفة : الدواوين ) .

(١٣) قال المرصفى ، ٢ : ٢٢٥ ، « وقد جمع شعره فى ديوان وطبع غير مرة ... » . ولا صحة لهذا القول . واكبر الظن ان محمد عبدالغنى حسن حسب ص (١٤٩) طبع الجوائب طبع الشام .

# ٢

## (١)

أصالةُ الرأي صانتني عن الخَطَلِ
وحِليةُ الفضل زانتني لدى العَطَلِ[١]

مجدي أخيراً ومجدي أولاً شَرَعٌ
والشمسُ رأدَ الضحى كالشمس في الطَفَلِ[٢]

فيم الاقامةُ بالزوراءِ لاسكني بها «ولا ناقتي فيها ولا جملي»[٣]

ناءٍ عن الأهل صفرُ الكف منفردٌ
كالسيف عُرِّيَ متناهُ عن الخِلَلِ[٤]

---

(١) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب ؛ العطل : فى الاصل خلو جيد المرأة من القلائد ، وفى البيت تجريد الشاعر من المنصب ٠

(٢) مجدى أخيرا ومجدى أولا : قد يكون القصد ، مجدى بعد التعطيل وقبله ، وقد يكون ، مجد اسلافى ومجدى ؛ المعنى الاول أنسب ٠ شرع : سواء ٠ رأد الضحى : شروق الشمس بعد طلوعها ، والرأد ارتفاعها ٠ الطفل : قرب الغروب ، طفلت الشمس ، مالت الى الغروب ؛ والمقصود فى البيت : الرأد أول النهار ، والطفل آخره ٠

والمعنى : مجدى فى الاول والآخر سواء ، كما ان الشمس هى الشمس فى أول النهار وفى آخره ٠

(٣) غ ، يا ، خ ، ص لاسكنى : لا وطنى ، ل ٠ السكن : ما يسكن اليه الانسان من زوج وغيره ٠

(٤) غ ، يا ، خ ، ص كالسيف ٠٠ عن : كالنصل ٠٠ س ، ل ٠
متناه : المتن الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال ، وهما جانبا السيف ٠ الخلل : جمع خلة ، والخلل بطائن كانت تغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره ٠
والمعنى : أصبحت كالسيف الذى جرد من حليته فلا تنظره العيون ٠

فلا صديقَ اليـه مشتكى حَزَني ولا أنيسَ اليـه منتهى جذلى[٥]

طال اغْترابيَ حتى حنَّ راحلتي ورحلُها وقَرى العسالة الذُّبل[٦]

وضجَّ مـن لَغَب نِضوي وعجَّ لمـا

يلقى ركابي ، ولجَّ الرَّكبُ في عَذلي[٧]

أُريـد بسطةَ كفٍّ أستعينُ بهـا على قضاءِ حُقوق للعُلى قِبَلي[٨]

والدَّهرُ يعكِسُ آمالي ويُقنعني من الغنيمة بعد الـكدِّ بالقَفَل[٩]

## (٢)

وذي شطاط كصدر الرمح معتقلٍ بمثلهِ غيرِ هيابٍ ولا وكِلِ[١٠]

---

(٥) صديق ٠٠ انيس شكلها ناشر ياقوت : صديق ( بضمتين ) ٠٠ أنيس ( بضمتين ) ٠ ل ، يا ، خ ، ص اليه منتهى : لديه ، غ ٠

(٦) ل ، غ ، خ قرى : قرا ، يا ٠ وشكلت فى غ بكسر القاف ٠ الراحلة : الناقة ؛ العسالة : واحدها عسال ، وهى الرماح ؛ قرى : اعلى السنان ؛ الذبل : جمع ذابل ، وهو من صفات الرمح كأنه يصف الرماح بالخفة والدقة ٠

طال اغترابى وامتد سفرى الى ان حنت راحلتى وحن رحلها وحنت أعالى رماحى الى الدعة والسكون والاستقرار ٠

(٧) النضو : البعير المهزول ٠

(٨) ل ، غ للعلى : للعلا ، يا ، خ ، ص ٠

بسطة كف : سعة فى المال ٠

(٩) ل ، غ ، خ ، الـكد : الجد ، يا ٠

(١٠) ل ، ص ، بمثله : لمثله غ ، يا ، خ ٠

الشطاط : بالفتح والـكسر اعتدال القامة ( واختار ناشر ياقوت فتح الشين ) ٠ الاعتقال : هو ان يضع الفارس رمحه بين ساقه وركابه ؛ ومعتقل مجرور على انه صفة بعد صفة لذى ٠ بمثله : جار ومجرور فى موضع نصب مفعول لاسم الفاعل وهو معقتل كأنه قال معتقل مثله ( بفتح اللام ) ٠ غير : مجرور على انها صفة لمعتقل ( وقد شكلها محقق ياقوت بفتح الراء ) ٠ الوكل : العاجز الذى يتكل على غيره ٠

حلو الفُكاهة مر الجد قد مُزجت بقسوة البأس منه رقة الغزل(١١)

طـردتُ سـرحَ الـكرى عن ورد مقلتـهِ
والليـلُ أغـرى سوامَ النوم بالمُقل(١٢)

والركبُ ميـلٌ على الأكوار مـن طـربٍ
صاحٍ ، وآخرَ من خمر الـكرى ثَمِل(١٣)

فقلـتُ أدعـوك للجُـلى لِتَنصُرَني
وأنت تخذُلني في الحـادث الجَـلل(١٤)

تنامُ عنّي وعـينُ النجمِ ساهرةٌ وتستحيل وصَبغ الليل لم يحُل(١٥)

---

(١١) حلو ٠٠ مر ٠٠ فى الصفدى صفة لذى فى البيت الذى تقدم ٠ وكذلك ورد شكلها فى غ ٠ اما (ل) ومحقق (يا) فاختار الضم ٠

غ ، يا ، خ ، ص مزجت ٠٠ منه : لعبت ٠٠ فيه ، ل ٠ ل ، غ ، بقسوة : بشدة ، غ ، يا ، خ ، ص ٠

(١٢) ورد بكسر الواو ، وجاءت بالفتح فى ع ، يا ٠ السرح : المال السائم ٠ السوام : المال الراعى ٠

منعته النوم بالمحادثة ونحن فى ليل قد اقبل بالنوم على العيون ٠

(١٣) ل ، غ ، ص ، الـكرى : الهوى ، يا ، خ ٠

طرب بكسر الراى فى (غ) ، وقال (ص) بكسر الراى ، اسم فاعل هنا وليس مصدر فتفتح الراء لانه لو كان مصدرا لفسد المعنى ، وكان الجار والمجرور مفعولا من اجله وكان قوله وآخر من خمر الـكرى معطوفا على غير شيء ولم يتعلق بما يربطه ٠٠٠ وآخر معطوف على طرب ولم ينجر لانه غير منصرف ٠ ووردت طرب فى (ل) وعنـد محقق ياقوت بفتـح الراى ، ووردت آخر فى (غ) ويا بضم الراء ٠

ميل : جمع أميل وهو الذى لا يستوى على السرج ٠ والطرب : خفة يلحق الانسان لشدة حزن أو سرور ٠ يقول الصفدى انه هنا يحتمل ان يكون من الفرح وان يكون من الحزن ، ولـكنه الى الحزن اقرب لانه جاء فى سياق شدة السهر ٠

(١٤) غ ، يا تخذلنى ( بضم الذال : تخذلنى ( بكسر الذال ) ، ل ٠ الجلى : الامر العظيم ٠

(١٥) غ ، يا ، ص ، عنى : عينى ل ، خ ٠ يا ، خ الليل : النجم ، ل ، غ ٠

تستحيل : تتغير ٠ الصبغ بالفتح اللون وقد وردت كذلك فى غ ، ص ٠ وفى ل ، يا بالـكسر ٠ وهو ما يصبغ به ٠

فهل تُعينُ على غَيٍّ هممتُ بـه      والغيُ يزجر أحيانا عن الفشل[١٦]

اني أريـد طروقَ « الحي » من « اِضمٍ »

وقـد حماه رمـاة الحي من « ثُعَلِ »[١٧]

يحمـون بالبيض والسـمر اللِّدانِ بـه

سودَ الغـدائـر حمرَ الحَلى والحُلل[١٨]

فالحِبُ حيث العـدا والاسـدُ رابضـةٌ

حول الـكِناس لهـا غاب من الاسـل[٢٠]

نـؤم ناشـئةً « بالجـزع » قـد سُـقيت

نصالُهـا بميـاه الغُنْج والـكَحَـل[٢١]

---

(١٦) ل ، يا ، خ ، ص ، يزجر : يصدف ، غ ٠

الغى : الضلال ٠ الفشل : الجبن ٠

هل لك ان تعين صاحبك على غى هم به ، فان الغى يمنع الانسان فى بعض الاوقات عن الجبن ٠

(١٧) غ ، يا ، خ ، ص ، الحى : الجزع ، ل ٠ يا ، خ ، ص ، حماه : رماه ، ل : حمته ، غ ٠ ل ، يا ، ص ، رماة : حماة ، ل ٠ فى ل ، رماة الحى من ثعل ، وفى غ ، حماة الحى من ثعل ٠ وفى يا ، خ ، ص : رماة من بنى ثعل ٠

اضم : جبل بارض المدينة ٠ ثعل : أبو حى من طىء وهو ثعل بن عمرو ٠ وبنو ثعل مشهورون باتقان الرمى ٠

(١٨) غ ، يا ، خ ، ص ، به : بهم ، ل ٠

به : الضمير يعود الى الحى ٠ الحلل : جمع حلة وهى البردة اليمانية ، والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين ٠

(١٩) ل ، يا خ ، ص ، ذمام : ظلام ، غ ٠ غ ، يا ، خ ، ص ، معتسفا فنفحة : مهتديا بنفحة ل ٠

معتسفا ، اعتسف مشى على غير طريق ٠ الحلل : جمع حلة : بيوت القوم ٠

سر بنا فى ذمة الليل فانه يسترنا ، واعتسف لسير ولا تخش الضلال عن طريق الحى ، فان نفحة الطيب من اهله ترشدك الى الحلة التى هم بها نزول ٠

(٢٠) ل ، يا ، خ ، ص ، العدا : العدى ، غ ٠

الـكناس : موضع الظبى ٠ الاسل : الرماح ٠

(٢١) الجزع : منعطف الوادى ٠ النصال : جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم ٠ وهنا ، نصالها التى تحميها ٠

قد زاد طيبَ أحاديثِ الكرام بها

ما بالكرائم من جُبن ومن بَخَل[٢٢]

تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ في كبدٍ

حرّى ، ونار القِرى منهم على القلل[٢٣]

يقتُلْنَ أنضاءَ حب لاحَراك بها ويَنحرون كرامَ الخيل والابل[٢٤]

يُشفىٰ لديغُ العوالي في بُيوتهم بنهلة منغدير الخمر والعسل[٢٥]

لعلَّ المامةً « بالجِزع » ثانيةً يدِبُّ منها نسيمُ البُرء في عللي[٢٦]

لا أكره الطعنةَ النجلاءَ قد شُفِعَتْ

برشقة من نبال الأعين النُّجُل[٢٧]

ولا أهابُ الصِّفاحَ البيضَ تُسعِدُني

باللمح من خَلَل الأستار والكِلَل[٢٨]

---

(٢٢) ل ، يا ، ص ، طيب : غ ، طيب • ل ، بخل ( بفتحتين ) غ ، يا : بخل ( بضمتين ) ل والجبن والبخل صفتان محمودتان فى النساء ••• برأى القدماء •

(٢٣) غ ، يا ، ص ، القلل : قلل ، خ : قبل ، ل •
نساء الحى حسان ، ورجاله كرام •

(٢٤) بها ، ل ، غ ، خ : ص ، بهم : به ، يا • ل ، غ ، خ ، ص ، ينحرون : يحتوين ، يا •
انضاء : جمع نضو ••

(٢٥) غ ، يا ، خ ، ص ، العوالى : الغوانى ، ل • ل بيوتهم : بيوتهم ، غ ، ومن الخطأ المطبعى فى يا كسر الياء • غ ، يا ، خ ، ص • غدير : لذيد ، ل •
ان الذى تطعنه الرجال بالرماح ، متى ارتشف شربة واحدة من ريق هذه الفتيات شفى •

(٢٦) غ ، يا ، خ ، ص ، عللى : علل ل •

(٢٧) غ ، يا ، خ ، ص ، برشقة : برشفة ، ل : بردفة ، المطبوع •
كأنه يهون على صاحبه ما توهمه من بأس رجال الحى لما اخذ يصفهم بالشجاعة والغيرة •

(٢٨) غ ، يا ، خ ، ص ، الصفاح : صفاح ، ل • يا ، خ ، ص ، من خلل الاستار : من صفحات البيض ، ل ، غ •
تسعدنى : تعيننى • الخلل الفرجة بين الشيئين والجمع الخلال مثل جبل وجبال ، هكذا فى الصفدى ، وقد فتح محقق ياقوت الخاء •

ولا أخِـــلٌ بغِزلان أُغازلُها ولو دهتني أسود الغيل بالغَيَل[٢٩]

## (٣)

حبُّ السـلامـةِ يَثني هـمَّ صاحبـه
عن المعـالى ويُغـري المرءَ بالـكسلِ[٣٠]
فـإن جنحتَ إلِيـه فاتّخـذ نَفَقـاً
في الأرض أو سـلّماً في الجو فاعْتزل[٣١]

ودعْ غمـارَ العلى للمقدِمين على ركوبها ، واقْتنع منهنّ بالبلل[٣٢]

رضى الذليل بخفض العيش مسكنةٌ والعزُّ عند رسيم الاينق الذُّلُل[٣٣]

---

(٢٩) ل ، غ ، ص ، اغازلها : تغازلنى ، يا ، خ ٠ غ ، الغيل بالغيل : الغيل (بفتح الغين) ل : الغيل بالغيل (بفتح الغين الاولى وكسر الثانية) يا ٠

(٣٠) ل ، غ ، يا ، خ ، ص ، همّ : عزم يا ( طبعة مار گوليوث ) ٠
ان ملت الى حب السلامة فادخل فى نفق فى الارض أو اصعد فى سلم فى الجو ، لان السلامة متعذرة عليك ما دمت بين الناس ولا سبيل الى النزول فى النفق ولا الى الصعود فى سلم فى الجو ، اذ لابد لك من الناس ، والسلامة فيهم عزيزة ـ وفى هذا تحريض على الحركة والسعى والاجتهاد فى احراز المعالى ، لان السلامة ممتنعة ، فالاولى بالانسان الطلب والسعى الى المعالى ٠٠

(٣١) غ ، يا ، خ ، ص ، سلما : مصعدا ، ل ٠ غ ، ل ، يا ، ص ، فاعتزل : واعتزل ، خ ٠

(٣٢) ل ، ص ، غ ، العلى : العلا ، يا ، خ ٠
غمار : جمع غمر وهو فى الاصل الشدة والزحمة ، وفى المـاء : اللجج ٠

(٣٣) ص ، رضى ، خ ، رضا : يرضى ، غ ، ل ، يا ٠ ص ، يا ، خ ، مسكنة : يخفضه ، ل ، غ ٠ ع ، ل ، ص ، عند : تحت ، يا ، خ ؛ ص ، يا ، خ ، الاينق : الانيق ، غ ، ل ٠
الرسيم : ضرب من سير الابل ٠ فى الانيق قال الصفدى : جمع الناقة تقديرها فعلة بالتحريك لانهـا جمعت على نوق مثـل بدنة وبدن وخشبة وخشب وقد جمعت فى القلة على انوق ، ثم انهم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا أونق ٠٠ ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا اينق ٠

فادْرأ بهـا في نُحور البيـد جافـلةً
معـارضـاتٍ مثاني اللُّجمِ بالجُدُلِ (٣٤)

ان العلى حدّثتني ، وهي صادقةٌ فيما تحدث ، أن العز في النُّقل (٣٥)

لـو أنّ في شرَف المـأوى بـلوغَ مُنىً
لم تبرحِ الشمسُ يومـاً دارَةَ الحمَـل (٣٦)

**(٤)**

أهبتُ بالحظّ لو ناديتُ مستمعا والحظُّ عنّيَ بالْجُهالِ في شُغلِ

لعله ان بـدا فضـلي ونقصُهُمْ لعينهِ ، نام عنهم أو تنبّهَ لي (٣٧)

أُعلـلُ النفسَ بـالآمـال أرقُبُهـا
ما أضيقَ العيشَ لـولا فُسحةُ الأمـل (٣٨)

لـم أرْتضِ العيشَ والأيـامُ مقبـلةٌ
فكيف أرضى وقـد ولّتْ عـلى عَجَل (٣٩)

غالى بنفسيَ عِرفاني بقيمتهـا فصُنتها عن رخيص القدْرِ مبتذَلِ

---

(٣٤) غ ، يا ، خ ، ص ، البيد : الخيل ، ل ٠ غ ، يا ، الجدل (بضم الجيم والدال) : الجدل (بضم الجيم وفتح الدال) ، ل ٠

ادرأ : ادفع ٠ جافلة : مسرعة ٠ معارضات : مماثلات ، مباريات ٠ مثانى : جمع مثنى أى اثنين اثنين ٠ اللجم : جمع لجام ٠ الجدل : جمع الجديل وهو زمام الناقة المجدول اى المحكم الفتل ٠

ادفع بالنوق والخيل فى القفار مسرعة ، فعارض لجم الخيل بازمة النوق ـ حثا منه على السير ٠

(٣٥) غ ، يا ، خ ، ص ، فيما : فى ما ، ل ٠

(٣٦) غ ، يا ، خ ، ص ، منى : علىً ، ل ، ابن جماعة ٠ ( ومن الخطأ المطبعى كسر الميم فى يا ) ٠

الدارة : هى ـ فى الاصل ـ ما يدور حول الشىء ، وتكون للقمر والشمس ، واستعملها الشاعر للحمل ٠ والحمل : أول برج من بروج الكواكب الاثنى عشر ٠

(٣٧) لعله ، الهاء تعود الى الحظ ٠

(٣٨) غ ، يا ، خ ، ص ، الامل : الاجل ، ل ٠

(٣٩) ل ، ص ، لم أرتض : لم أرض بالعيش ، غ ، يا ، خ ، غ ، يا ، خ ، ص ، وقد : فقد ، ل ٠

وعادة النصل أن يُزهى بجوهره
وليس يعمل الاّ في يدي بطل[٤٠]

ما كنتُ أُوثر أن يمتدّ بي زمني
حتى أرى دولةَ الأوغاد والسَفَل[٤١]

تقدمتنى اناسٌ كان شوطُهُمُ ... وراء خطوي اذ أمشي على مَهل[٤٢]

هذا جزاء امرئٍ أقرانُه دَرَجوا ... من قبلهِ فتمنىٰ فُسحةَ الأجل

وإن علانيَ مَنْ دوني فلا عَجَبٌ
لي أُسوةٌ بانْحطاط الشمس عن زُحَل[٤٣]

فاصبر لها غيرَ محتال ولا ضَجِرٍ
فى حادث الدهر ما يُغني عن الحيل[٤٤]

---

(٤٠) غ ، يا ، خ ، ص ، وليس : فليس ، ل ٠
النصل : السيف ٠
عادة السيف ان يفخر بجوهره ، ولكن المراد منه القطع ولا يكون ذلك منه الا اذا كان فى يدى بطل يضرب به فيصيب ٠
اننى فى ذاتى كالسيف المجوهر لما حزته من العلوم وملكته من ممارسة الامور وسياستها ، ولكن لا نفع لها ، لانها كامنة ، فلو باشرت أمرا أو توليت ولاية ظهرت محاسنى فى الخارج وبرز فى الظاهر نفع ما لدى ٠

(٤١) ل ، يا ، السفل (بفتح السين) : السفل (بكسر السين) ، غ ٠
وهذا دليل سوء الحال ٠

(٤٢) ل ، يا ، خ ، اذ : لو ، غ ، ص ٠

(٤٣) الشمس فى الفلك الرابع ، والزحل فى الفلك السابع ٠
اخذ يسلى نفسه ويتأسى ٠
وان علانى هؤلاء الذين ذممت دولتهم وايامهم وهم دونى فى كل شيء ، فان لى اسوة بكون الشمس منحطة عن زحل ٠

(٤٤) غ ، يا ، خ ، عن : من ، ل ٠
لها : الضمير يرجع الى معهود فى النفس لم يذكر وهى المقادير أو الايام والحوادث ٠ غير محتال : مسلما ٠ حادث الدهر : ما يحدثه ٠ الحيل : جمع حيلة وهى الفكرة فى بلوغ القصد بطريق خفى على غيرك ٠
اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها ، فان فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل ، ويأتيك بما لا تقدر عليه بحيلك وحولك ٠

## (٥)

أعدى عدُوِّكَ أدْنى من وثِقتَ بهِ
فحاذرِ الناسَ وأصْحبْهُمْ على دَخَلِ[٤٥]

وانما رجلُ الدنيا وواحدها من لا يعوّل فى الدنيا على رجل
وحسنُ ظَنِّكَ بالأيامِ مَعْجزةٌ فظنّ شرا وكن منها على وجل[٤٦]
غاض الوفاء ، وفاض الغدر وانفرجت مسافةُ الخُلف بين القول والعمل

وشانَ صدقَكَ عند الناس كِذْبُهُمُ
وهل يُطابَقُ معوَجٌ بمعتدل[٤٧]

ان كان ينجعُ شىءٌ فى ثباتِهِم
على العُهود فسَبَقُ السيف للعَذَل[٤٨]

## (٦)

يا وارداً سُؤرَ عيش كله كدَرٌ انفقت صفوك فى أيامك الاول[٤٩]

---

(٤٥) الدخل : المكر والخديعة •
•• خذ حذرك من الناس واصحبهم بالخديعة والمكر ، ولا تركن الى احد ممن وثقت به وظننت انه صديقك لانه اشد عداوة من كل عدو •
(٤٦) – (٤٧) ل ، يا ، خ ، ص ، وحسن ••• غاض ••• غاض : ••• وحسن ، غ • ل ، وكن منهم : وكن فيها ، غ ؛ وكن منها ، يا ، خ ، ص •
(٤٨) ل ، يا ، ص ، يطابق (بفتح الباء) : يطابق (بكسر الباء) ، غ •
ان كان شىء من الاشياء نافعا فى ثبات الناس على العهود وذلك الشىء مثل اللوم والعذل على ما ارتكبوه من نقص الوفاء واظهار فان السيف سبق العذل فى ذلك • يعنى انهذا الامر فات وما بقى يفيد فيهم العذل شيئا ، كما ان السيف يسبق من يعذل ويفوت الفوت فى كفه بعدما يمضى • لا تطمع فى عود رعيهم للعهود كما ان المقتول لا يطمع فى حياته •
(٤٩) ع ، يا ، خ ، ص ، صفوك : عمرك ، ل ، غ •
وهذا البيت يسميه أرباب البلاغة التجريد ، وهو ان يجرد الانسان من نفسه شخصا يخاطبه فهو يستريح بمعاتبته وتعنيفه وتوبيخه •

فيم اقتحامُك لُجَّ البحر تركبُه وأنت يكفيك منه مصّةُ الوشل[٥٠]

ملكُ القنـــاعة لا يُخشى عليـه ولا
يُحتـــاج فيـه الى الأنصار والخَوَل[٥١]

ترجو البقــاءَ بدار لاثباتَ لها فهـل سمِعت بظـلٍّ غير منتقـل

ويــا خبـيراً عـلى الأسـرار مطّلِعـا
أُصْمُتْ ففى الصمت منجاة من الزلل[٥٢]

قـد رشّحوكَ لأمـر لـو فطِنتَ لـهُ
فاربأ بنفسـك أن ترعى مـع الهَمَـل[٥٣]

---

(٥٠) غ ، يا ، خ ، ص ، فيم : فى ما ، ل . يا ، خ ، ص اقتحامك : اعتراضك ، غ ، ل . أخذ يريض نفسه ويسكن سورة غضبها بعد ان كان قد ثار واحتدم واحتدوا واضطرم .

(٥١) الخول : الحشم ، العبيد .

ان ملوك الدنيا يحتاجون الى الخول والانصار للخدمة ، والى العساكر ليحفظوا البلاد ، فيضطرون الى أموال ينفقونها . ثم هم مع ذلك فى هم وفكر فى تحصيل الاموال وتدبير الرعايا فى خوف وحرص ..

(٥٢) غ ، يا ، خ ، اصمت : أنصت ، ل .

(٥٣) غ ، ص ، ان فطنت له : لو ، ل ، يا ، خ .

رشحوك : فلان يرشح للوزارة اى يرى ويؤهل . الهمل : الابل بلا راع .

قد ربوك واهلوك لامر ان كنت تعلم باطنه فى مرادهم منك ، فاهرب منهم ولا تطاوعهم على ما يرومونه منك ان اردت ان لا ترعى هاملا فتعود سدى .

يحذر نفسه من اعاديه الذين يسعون فى قهره وحساده الذين يريدون هلاكه ويتمنون وقوع الاذى به .

# ٣

## (١)

يفخر الطغرائي بأصالة رأيه وبفضله وبمجده .. وليس لاحد أن يكذبه فى دعواه وهو الذى بلغ فى عصره المنزلة المرموقة علما وأدبا وسياسة ..

ولكن ، لم هذا الفخر ؟ وما الداعى اليه ؟ انه مشوب بشىء من الشكوى والمرارة ؛ لقد فقد صاحبه شيئا عزيزا عليه ، قد يكون أهم مايملك، وأكبر ما يرى فى الحياة ، وفيه عزته وكبرياؤه . واذا ما أصيب المرء بمثل ذلك خف الى رصيده الاول ، يستنجده ويستعينه . وهكذا ، يكون الفخر ، تعويضا عن الفقد ، وتعزية لنفس مضامة ، وتغطية لخيبة ، وتماسكا أمام هذا الناس الذى ألفه على غير ما حل به وصار اليه .

ولو كان فخرا للفخر ، لما كانت هذه الـ « فيم » ، « فيم الاقامة بالزوراء ؟ » ، ان فيها أسىً شديداً وعتابا للنفس مرّاً ، انه استفهام صدر عن أعماق نفس متألمة وغير راضية عن اقامتها فى بغداد ، ودعوة الى الهجرة، وتبرير لهذه الدعوة بأكثر من سبب ، فهو فى موقف من يريد أن يقنع شخصا آخر ما زال مشدودا الى بغداد بشىء ، فوالى الادلة الداعية الى الهجرة .ليس للشاعر فى مدينة السلام أهل أو عمل أو مال أو صديق، وانه قد طال اغترابه واشتد به الحنين ، ولابد من العودة ، رضى أم لم يرض .

واذا تركنا المكابرة جانبا ، وتناسينا مسألة الاغتراب والحنين وما الى

ذلك من الالفاظ التى هى « شعر » وتبرير أكثر منها واقعا ، رأينا انه لابد من العودة اعترافا بالواقع وخضوعا للمنطق •

لقد جاء الطغرائى بغداد وأقام فيها من أجل شيء عزيز عليه ، سعى نحوه حثيثا وطويلا ، ألا وهو « الصدارة » او « العلى » ـ كما سماه • لقد قصدها فرحا وخف اليها طربا وحسبها الجنة الفيحاء والدنيا السعيدة • ولم لا ؟ وما قيمة الاقامة فى مسقط الرأس ؟ انه يورث الخمول والفقر ! واليوم يحدث ما يحدث ، فيصاب الرجل فى طماحه ، فاذا بغداد غير بغداد أمس ، لقد أنكرها ، وتنكر لها • وبغداد هى هى ، وما للطغرائى معها عداوة خاصة ، او كره معين ، انما ينطق تحت وطأة ظرف قاس •

واذن فما عليه الا أن يرجع ، أى يقتنع بالرجوع • وهذا هو القول الصحيح •• أما الحنين فمسألة طارئة جاءت علة لنكوص عن غاية ، ودعوة لتمويه عن دعوة أخرى ، ويقظة لأمر ثانوى كان راقدا يغط فى رقوده • والا ، فأين كان أمس هذا الحنين ؟ لقد أمضى الرجل عمره فى الاسفار والغربة والاقامات البعيدة عن « الاهل » والوطن •• فلم يبد عليه مثل هذا الحنين الجامح !

مهما يبالغ المرء فى اخفاء السبب الحقيقى ، يعجز ، حتى لو كان ذلك من امالى العاطفة ، ويعد الى الصراحة وهى أجدى • واذن فلابد من الرحلة • وطبيعى أن تكون نحو أصفهان حيث الاهل والاحبة وحيث يمكن أن ينعم بالدعة ويسكن الى الراحة ـ او الى الكيمياء ، هذا هو الطبيعى •

**(٢)**

وليس من الطبيعى أن يحدثنا عن أشياء ليست بذات صلة بما هو عليه من الحالة النفسية وعزم أكيد على الهجرة •

لقد حدثنا عن رحلته ، وعن معدات رحلته ولكن على غير ما انتظرنا ، وعلى غير ما تقتضيه طبيعة الاشياء • فلقد بدأ يتحدث عن رفيقه فى السفر مادحاً خلقته وخلقه بين استواء القامة والشجاعة والشدة حينا ، والرقة حينا ••

سار هو ورفيقه في ركب ، حتى اذا أخذ منهم التعب مأخذه ، ومضى من الليل أكثره غلب النوم على هذا الرفيق الذي أعده الشاعر للملمات •

وها هم أولاء يقتربون من الهدف ، والرفيق نائم او شبه نائم ، فيهزه ، ويعاتبه ويوقظه •

ولكن ما الغاية التي دعاها الشاعر « بالجلى » ؟ أول ما يتبادر الى ذهن من استوعب المقطع الاول ، بلوغ الوطن •• او •• اذا كان لابد من الابتعاد عن الجو قليلا •• العلى ، كأن يكون الشاعر قد ثاب الى نفسه فعاود الجد من أجل تحقيق مطمحه •• أما أن يكون غير هذا ، فلا •• أن يكون غيا يحمل الشاعر لأن يطرق أحياء الناس الساهرين على أعراضهم ، فيندس تحت ستار الليل الى خدر « امرأة » يدّعى انه يحبها ، ويدعى أكثر من ذلك ، بأنها تحبه ، وان في رضابها وتقبيلها •• شفاء لما هو فيه من سقام وعلل •• أما هذا ، فلا • وليس الظرف ظرف غزل ومغامرة هي أشبه بمغامرات امرىء القيس وعمر بن أبي ربيعة ؟ وحتى هذان الشاعران لم يكونا ليفعلا ما ادعاه الطغرائي لو كانا مكانه •

اذن ، لابد من أن يكون في الامر شيء آخر ، او أشياء أخرى هي غير ما يبدو للناظر • فما هو ؟ وما هي ؟

ان أمر الغزل غريب في بابه ، ونشاز في مكانه • ولو جاء في مطلع القصيدة لقلنا انه ضرب من التقليد ، فقد درج شعراء العربية على افتتاح قصائدهم بالغزل • وكل ما يمكن أن يقال في هذه الحالة ، ان الشاعر خضع للتقليد أكثر مما يجب • فلقد اعتدنا ـ أكثر ما اعتدنا ـ أن يكون الغزل في مطالع قصائد المديح • أما في قصيدة تقال في الظرف الذي يعانيه الطغرائي فغير مألوف وغير مستساغ •

ولكنه لم يأت في بداية القصيدة • وهذا ما دعا الى الاهتمام والتساؤل• وقد يدعو تقصى الاسباب والاعذار الى الاغراق والاغراب • وفي سعي من هذا الوادي يلمع في ذهن المرء افتراض خلاصته ان الطغرائي لم يتغزل ، وان هذا الذي يبدو غزلا ليس من الغزل بالمرأة في شيء ؟ انه غزل بالمجد ،

ورمز عن هذا المجد بالمرأة الممنعة الجميلة . ولا يبلغ المجد بيسر ، فلابد من مغامرة ولابد من سهر وأعوان .

الافتراض جميل ، ولو صح ، لكان أجل وأدخل فى مسيرة القصيدة وألصق بالحالة النفسية التى يأتزم بها الشاعر ؛ ولـكن تصديقه ليس سهلا ، فما ألف مثله فى شعر الطغرائى وشعر عصره وجملة الشعر العربى . ثم ان الشاعر حين جرى فى غزله انفصل انفصالا تاما عن الحالة التى كان عليها ، ولم يدع ما يشير الى مجده وطماحه من حرارة او ابداع[1] . ولم يبق الا غزل تقليدى لا فضل لصاحبه أكثر من التمكن فى البناء الخارجى . ولقد بعد عهد ابى اسماعيل بالغزل الصادق فقد نيف على الخمسين وتزوج أكثر من مرة ورزق أكثر من ولد ـ ولات حين غزل . واذن ، فما عليه الا أن يعمل فكره فى جمع عناصر متفرقة من هنا وهناك مما ذاع فى الشعر العربى فى المرأة والجمال والسرى .. ومما قام منذ قام امرىء القيس ( وقبله ) وشتان .

بقى أمامنا مجال آخر ، أن يكون هذا المقطع الغزلي دخيل على القصيدة ، وقد دسه الشاعر متأخرا عن الظرف الذى نظمها فيه ، فى احدى قراءاته ومراجعاته بعد أن مرت العاصفة .

اننا اليوم نفضل أن تكون اللامية مجردة من مقطعها الغزلى . ولم يكن تفضيلنا هذا قائما على الاقتراح وعلى الدراسة الداخلية لها فقط . فلقد رويت مرة كما نريد ، رواها ثقة هو ابو الفتح عبدالرحمن بن أحمد بن الاخوة عن الشاعر نفسه ، وقبل أن يكون للشاعر ديوان[2] .

---

(١) لا يخلو من فائدة ان نذكر ما جاء فى « اعيان الشيعة » للعاملى ٢٧ : ٧٩ « ... وفى « الرياض » ... كان ( الطغرائى ) مشهورا بمعرفة الـكيمياء ... ولاشتهاره بعلم الـكيمياء قيل عن لاميته .. انها رمز الى علم الـكيمياء . وهو خيال فاسد » .

(٢) ينظر ابن جماعة فى التعليقة و ٧٤ ب .

## (٣)

أى نعم ، فما أنسب أن ننتقل من المقطع الاول الى الثالث •• من :

والدهـر يعكس آمالي ويُقنعني من الغنيمة بعـد الجد بالقفـل

الى : حب السلامة يثني همَّ صاحبـه عن المعالي ويغري المرء بالكسل

وكأن المقطع الغزلى لم يكن • وهنـا تقول ، ومن حقـك أن تقول وتعترض بهـذا الفـرق « الهائل » بـين المقطعين : مقطع ينتهى باليـأس والاستسلام ، ومقطع يدعو الى المعالي والعلى والعمل وتحمل المشاق وقطع البيد ومواصلة الاسفار ••

وطبيعى ان هذه الاسفار غير الاسفار التى دعا اليها فى مقطعه الاول مما يتصل بالهجرة واللياذ بالسكينة فى ربوع الوطن •• انها أسفار جديدة ، انها استئناف العمل والسعى ، واسئناف الطمع والطماح ••

اذن ، لقد اتضح الفرق وبانت الهوة ، واين الاستسلام من المقاومة غير اليائسة ! والحق معك، لأنك تزن الامور بالميزان المنطقي، بمنطق العقل، والعقل ألوان ـ ان شئت • واذن ، فالفرق هائل ، وسياق المنطق يدل على أن الرجل ، بعد أن يئس قرر الهجرة وحببها الى نفسه ونفذها ـ هذا ما يقوله المنطق العقلي • ولـكن المنطق النفسي لا يشترط ذلك ، وانه يجيز ما وقع فيه الطغرائي بل يؤده ، فان هـذا الذى بدا تناقضا واضطرابا هو ادل على صدق الشاعر وعلى اعرابه عن حالة حادة يعانيها ، فما يكاد ينتهى الى شىء حتى يثور ويحطم ما بنى ليشيد خطة جديدة لا ينفك يجمع لها الادلـة والبراهين •

فهو هنا يدعو الى العمل والى المخاطرة والى قطع البيد ، ويهجن حب السلامة الذى يحول دون المعالى ويغرى صاحبه بالـكسل ويورثه المذلة والمسكنة ـ وكأنه شاعر آخر غير الذى رأيناه فى مطلع القصيدة •

وهو صادق فى دعواه ، مطمئن اليها يزجيها بكل تأكد وبغير قليل من النضج والحدة • ولا غرو فهو فى شدة وازاء نفس عنود •

(٤)

ولكنه مهما يجمع الادلة ، ومهما يستنجد بعقله الواعى لا يستطيع ان يقنع نفسه ، أو قل ، لا يستطيع أن يصد الالم الطاغى ويدفع الاسى المسيطر • فأين هو من المعالى ؟ ومن العز ! ومن « فادرأ بها » ؟ وواقعه مر ، وحاله يشعر بالخيبة • واذا صعب عليه تعليل الاشياء بما يليق برجل رصين ، انحدر به الضعف الى « الحظ » وكأنه كل شىء ، فهو الذى يأخذ ، وهو الذى يعطى ، فراح يدعوه ويعاتبه ويناقشه ـ وهيهات •

ولمحة من لمحات العقل تريه استحالة ما هو فيه ، وغرور ما هو عليه ، انها أعاليل بأباطيل ، لا تحل مشكلا ـ وان خففت وطأ •

فأين هو ؟ وكيف ينسجم وعصره ؟ انه صعب المراس ، شديد الثقة بنفسه ، معتد بقيمته ، مترفع عن الدنايا • انه لم يرض عن أيام كان فيها معززا مكرما ؛ فكيف يرضى الآن ، مهما يكن أمره ؟ كيف ••؟ والدولة دولة أوغاد ، والحكم حكم جهال ، وقد علاه من كان دونه بأشواط • كيف يرضى ؟ ذلك بعيد •

لم يكن كاذبا اذ وصف السلطة عام ٥٠٥ بما وصفها ، فذلك مما يؤيده التاريخ • ولكننا نسأله : أين كنت قبل اليوم ؟ انه لم يجد قبل اليوم ما يدعوه لمثل هذه التصريحات ، ولم يكن على الحالة التى تريه حكام عصره على الشكل الحقير والاحقر • كان سجين مطامحه ورهين أمانيه ، كان فى طريقه الصاعد لا ينظر يمنة او يسرة • أما وقد حيل بينه وبين القمة ، فكل شىء واضح ازاءه على حقيقته وعلى أحسن من حقيقته ، وان له من الوقت ما يستطيع معه أن يتبين ويتفحص ويتأمل ويحكم •

بل انه ازاء نفسه وجها لوجه ، هذه النفس التى غررت به وأوقعته فى مهاوى الآمال البعيدة وفى « تمنى فسحة الاجل » • انه ليعاتبها ويقول لها : تسأهلين ، ذوقى • ولكنه لا يستمر طويلا ، لانه رجل لا ينسى ذاته طويلا ؛ وله فى مجده الماضى أعظم مظهر للتعزية والسلوان ، فهو الشمس وسواه زحل •• واذا انحط فهو الشمس على أى حال • ومثله لا ييأس ،

وما عليه الا أن يصبر ، فاذا ضاقت بـه الوسائل فليكف عنها ، وليصبر ، ولينتظر المصادفات و « حادث الدهر » •

من الصعب على امرىء عرف بالطغرائى ورأى ما رأى الطغرائى أن يستسلم بيسر ، ومن دون ثورة نفس وتضارب أفكار وتصادم هواجس وضرب أخماس بأسداس وكبرياء وتعاظم وسخط على الدهر والحظ •

## (٥ ـ ٦)

كل هذه « عموميات » يرسلها الطغرائى دون تخصيص لأنه تحت مجموع الـكارثة ، لا يراها مجزأة ولا يحدها بسبب واحد ، انه يتخبط لان الضربة شديدة ••• حتى اذا اتضحت الامور قليلا ، قارب التخصيص فصاح :

أعـدى عـدوك أدنى من وثقت به    فحاذر الناس واصحبهم على دخل

واذن ، فمن مأمنه أتي الطغرائى واذا أصدقاؤه ألد أعدائه ، لقـد أوقعوا به ، وأنزلوه من مجده • ولم يزد على ذلك فى التصريح ، كأنه يرى نفسه أكبر من أن تنزل الى مثل هذا الدرك او كأن المسألة أكبر من ذلك[١] •

فلقد ضاقت الدنيا على أشد ما يمكن أن يكون عليه من ضيق ، وانه لم يعد حتى ذلك الطغرائى الذى يكابر وهو فى منزلة ذلة ، ويفخر وهو فى موطن عزاء ، ويأمل وهو فى ميدان يأس •

أجل ، لقد ضاقت وانتهى عالم •• وبدأ عالم أسود ، كل ما فيـه يدعو الى التشاؤم بحرارة وحماسة و « صدق » : أهل هذا العالم قوم أعداء ، شيمتهم الغدر ، كذابون ، لا يمكن أن يعيش بينهم امرؤ حسن النية يثق بالآخرين ، صادق ، اذا قال فعل •• انه لعالم حالك وحقير ، ومؤلم أن يكون عالم الانسان •

لقد رأى الطغرائى عالم عصره خلال تجربته الخاصة ، ولـكنه مـا زال يوسع الخاص ويوسعه حتى جعله عاما • وله فى حقيقة السوء الذى

---

(١) وما يذكر انه كان أكثر تفصيلا فى البائية •

كان عليه العصر مساند ، وهكذا يكون قد قدم لنا صورة لزمانه ، ويكون قد استوعب المجتمع الذى احتواه •

وإذا كان العالم كذلك ، والناس كذلك ، أصبحت النتيجة الحتمية واضحة ، وهى نفسها التى انحدر اليها الطغرائى ـ بعد تردد وممانعة ـ ألا وهى اليأس أو القناعة ـ ان شئت •

ولكن نفسا يحملها الطغرائى « لا تقنع » من غير أن تتعب صاحبها ، انها على الرغم مما قاست وعانت ومما انتهت اليه ، ما زالت تنطوى على بقية من طماح وشرارات من أمل •• مما استوجب الحجاج وزيادة الادلة والبراهين : فالعيش كدر ، ومصة الوشل تغنى عن البحر ، وملك القناعة لا يخشى عليه ، والدنيا فانية ، والصمت منجاة •• الخ •

ترى هل قنع ؟ يبدو • ولكن ذلك صعب على مثله • ان الادلة التى ساقها تقنع غيره وترضى سواه ، أما هو فاذا رضى فالى حين واذا صمت فعلى مضض واذا يئس فعلى أمل •

# ٤

## (١)

هذه اللامية اذن سجل لأطوار قلب ثائر ونفس طعين ، عبرت عما يكتنف الشاعر من طماح وقناعة وأمل وألم واقامة وهجر وحب وكره • ان العواطف لتجرى حارة فى عروق القصيدة ، عميقة ، عنيفة ، صادقة ، أصيلة ؛ بلغة سليمة هى لغة الشاعر العربى المتمكن الكبير •

كل ذلك من غير افتعال وكذب وضجيج مختلق وقرقعة متكلفة ، ولو لم تكن كذلك لما كان لها شأن يذكر حتى اليوم ، ولذهبت مذهب عشرات القصائد التى قامت شهرتها على الزيف وفساد الاذواق والظرف الآني •

لقد أولع عدد من الدارسين **برد معانى اللامية الى أصولها** ، أو بمعنى أدق رد معنى أبياتها الى أبيات شعراء سبقوا الطغرائى ، كأنهم يريدون أن يقولوا ان الطغرائى أشار اليهم او أخذ عنهم أو سرق منهم •

ومحاولة رد أبيات الطغرائى الى غيره من أمثال المتنبى والشريف الرضى والمعرى ليست مستحيلة ، او مطلقة فى العبث • وقد عمل ذلك الصفدى بحسن نية[١] ، ولعل الذى بعثه سعة علمه وغزارة محفوظه[٢]

---

(١) الصفدى ، الغيث ••

(٢) السبكى ٦ : ٩٤ ؛ العسقلانى ٢ : ٨٧ •

وتطبيق لخطة يجعل بها شرحه للامية كتابا أوسع من « شرح » • ثم ان مبدأ « الرد » مألوف فى الدراسات الادبية القديمة ، وظل حيا عبر أجيال حتى انتهى ـ فيما رأينا ـ الى استاذنا المرحوم طـه الراوى ، فلقد كتب مقالات يرد فيها اللامية الى غير صاحبها مستعينا بالطريق الذى مهده الصفدى وبالامثلة التى أوردها • ولكنه تميز عن الصفدى بالشدة فى الحساب والعنف باللهجة • وأكبر الظن انه كان كذلك بسبب ما كان معلوما من أن الطغرائى فارسى أعجمى[٣] •

وعلى أى حال فلقد انتهى المرحوم الراوى الى « أن الرجل أغار على المعانى الرائعة لمعاصريه ومن قبلهم فاعتصر منها خلاصاتها ، ثم صبغها بالالوان البراقة الجذابة ، وأبرزها للناس على انها نتاج قريحته ، ووليدة يراعته ، فأفتن الناس ببريق تلك الالوان ، ونسوا ما وراءها من سبايا المعانى البارعة التى لو أطلقناها من عقال الوزن والقافية لرجع كل الى أصله واعتز بانتسابه لأهله ، ونحن لا نريد أن ننكر على الرجل انه من بدعة الصاغة ، ومهرة المصورين ولكنا لا نشك فى أنه **أقدر الناس على الانتفاع بنتاج غيره موهما انه من نتاج فكره**[٤] •

ومن يقرأ الصفدى وما ربطه بين أبيات الطغرائى وأبيات سابقة ( ولاحقة ) يحس أن فى هذا المذهب كثيرا من الجهد الضائع والتعسف ، ولكنه لون عقلى يحقق لصاحبه البراعة أمام الناس ثم ان بعض الروابط لا تخلو من طرافة وصحة حتى ان القارىء ليقتنع بصحة علم الطغرائى او قصده فى الاخذ أحيانا • ولم يبد أن الصفدى كان يقصد الى التشفى أو الى الحط من شأن الطغرائى ولا أن يمهد للحط من هذا الشأن • ذلك ان شيئا من الربط بين معنى بيت او أبيات لشاعر كبير مع بيت أو أبيات لشاعر سابق مألوف فى الشعر العربى وقد أطال الباحثون درس هذه الظاهرة وكانت

(٣) الراوى ، الصبح • وزاد ولده الاديب حارث ان المرحوم والده كان يحب بغداد حبا جما ، وربما كان لموقف الطغرائى منها أثره فى ذلك •
(٤) نفسه ٤ : ٦ •

لهم ـ والآمدى[1] فى مقدمتهم ـ آراء صائبة فى الانصاف وفى التمييز بين ما كان سلخا أو سرقا أو أخذاً وبين ما كان تجميلا وتأثراً غير مقصود ..

حقا ان بين أبيات اللامية ما يتصل بالبيت الفلانى والفلانى من شعراء سبقوا ، ولكن هذا الاتصال لو كان أخذاً وسرقاً لما كان للامية شأن كبير ، مهما أوتي صاحبها من مهارة وقدرة على السبك والرصف والصياغة . ان شعر التمكن لا يدوم طويلا ، ولا ينطوى على قوة وعنف مما تنطوى عليه الآثار الاصيلة . وانه ـ أى شعر التمكن انما يضطر اليه الشاعر عندما يتكلف المواقف ويقصد من شعره الى المسابقة الشكلية ، وعندما يقول وهو هادىء النفس غير منفعل وفى موقف لا يمت اليه بسبب قوى . ولم يكن الطغرائى كذلك ، لقد كان متمكنا ـ دون شك ، وبارعا دون ريب ـ ولكنه كان منفعلا ، وكان يتحدث بعمق وصدق عن أوصل الاشياء بكيانه ـ ولات حين سرقة وتفكير بالسرقة .

ولنبدأ بالبداية . قال الطغرائى :

أصالةُ الرأى صانتنى عن الخطل — وحلية الحلم زانتني لدى العطل

فعبر بذلك عن القمة النفسية التى كان عليها والتى دعته الى قول الشعر بعد امتلاء نفسه بالكارثة التى حلت به ولم يجد ما يقوى به وجوده غير الرصيد القديم وغير الاستعلاء عن صغائر أمور الدنيا ؟ الحالة حالته ، ولقد عبر عنها كما يجب وكما يشاء . أما الالفاظ فهى ألفاظ العربية وليس لأحد أن يقول ان « اصالة » هى لفظة فلان و « الخطل » لفظة فلان و « العطل » لفظة فلان . انها لوكانت كذلك لما جاءت على هذه القوة .

ويأتى الصفدى[2] فيشرح ويعرب ويفسر ثم يقول : قال الشريف الرضى :

ان يبل ثوبي فانى أكتسى حسبي — أو ترد خيـلى فانى راكب مِنني

لقد تقدم بي فضلي بلا قدم — اعظم بأمر على ذى السن قدمني[3]

ويذكر بعد ذلك أبياتا لشعراء آخرين لا قيمة لها وبينها ما هو لشعراء

---

(١) الآمدى : الموازنة بين الطائيين ..
(٢) الصفدى : ١ : ٥٠ .
(٣) ينظر الديوان ١ : ٥٤٣ .

متأخرين عن الطغرائى ولا يربطها الا بما يتوهم ، وما يمكن أن يكون من قرابة في المعنى العام • ذلك منهجه • ولكن ماذا يعني ذكر بيتي الشريف الرضي ، يعني الشبه في الحالة التى عبر عنها الشاعران والتى دعتهما لأن يفخرا ، ويفخرا بفضلهما غير مباليين ببهرج الدنيا من ثياب وزينة • وليكن • وحسنا فعل الصفدى اذ لم يقل ان فلانا أخذ أو سرق من فلان ، ولم يقل ان بيت فلان خير من بيت فلان • وان « الشريف لم يكتف باكتساء ثوب الحسب ، حتى ركب خيل الكرم • والطغرائى لم يزد على أن وضع الحلية موضع الثوب واني لعلى ثقة بأن الذوق السليم يستحلى كلمة الشريف ويفضل ثوبه على حلية الطغرائى لأن الرجال خليقون بأن يتجملوا بالثياب ، أما الحلية فمن خصائص ربات الحجاب •••[1] » ان هذا ما لم يمر من الطغرائى ببال ، وما لا يمر ، ولا ينسجم والحالة التى هو عليه ، وما كان موقفه موقف حلية « نساء » ، انما كان جلال رجال ، وكان حلية فضل ان أردنا الصراحة • ولم يكن بين كلمتى الفضل والحلية فاصل •

وقال الطغرائى :

مجـدي أخـيراً ومجـدي أولاً شـرع
والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل

وهو تتمة طبيعية لسابقه وتجسيد للأزمة التى وقع فيها الشاعر ، ولم تحل « رأد » و « طفل » دون فهم البيت ، ولم تكن الكلمتان من الغرابة والثقل بحيث يكدران الصياغة •

ويقول الصفدى : « وقد أخذ الطغرائى هذا المعنى من قول أبى العلاء المعري حيث قال :

وافقتهم فى اختـلاف من زمانكم والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

فهذا هذا ، خلا ان ذاك فى الشمس وهذا فى القمر ، ولكن قول المعري ألطف عبارة وأحسن اشارة لأن الطغرائى أغرب فى لفظتى رأد والطفل وعذوبة الالفاظ أمر مهم فى البلاغة •••[2] »

---

(١) الراوى ، ٦ : ٢ •
(٢) الصفدى ١ : ٥٢ •

ان القرابة بين الشطر الثاني للبيتين قائمة ، ولكن هل كان بيت المعري حاضرا فى ذهن الطغرائى وهو ينظم ما يعانى ويكابد ؟ لقد سمح الصفدى لنفسه أن يجزم بالاخذ . وقد يكون له ما يبرر ، لكن ما باله يقول ان بيت المعري ألطف اشارة ، ويقول ان الطغرائى أغرب .. ليس من حقنا أن نتخذ من الغرابة والسهولة سلاحاً ذا حدين . ولو سمحت لنفسى بمثل ما سمح به الصفدى لفضلت بيت الطغرائى ، ولكن لا داعى لذلك .

وقال الطغرائى :

فيم الاقامة فى بغداد لا سكنى بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وهو منسجم تمام الانسام مع سابقيه ، بل انه المعنى الطبيعى الذى جرّ اليه ، وسبقا لتقديمه . فماذا قال الصفدى ؟ قال : « .. أنظر الى قلقه في بيت الطغرائي لأنه عطف الناقة والجمل على السكن ، ولو عطف ما يناسب ذلك من أهل وولد لكان أحسن وأوقع فى النفس »[1] ، هكذا فهم الصفدى ، لانه من قوم يقيمون نقدهم على المعانى القاموسية واللفظة ومعناها ، فرأى فى البيت سكناً وناقة وجملا ، فرأى قلقا ، أما نحن فنرى ما رآه الطغرائى : سكناً ومالاً ، ذلك ان « لا ناقتي فيها ولاجملي » تعني المال، وتستطيع أن تقولها - كما هو الشأن فى الامثال وأبواب التجوز - فى مواقف لا صلة للناقة الناقة والجمل الجمل فيها . كما هو فى بيت الطغرائى وكما هو فى الحال التى كان يحس بها [2] .

وقال الطغرائى :

ناءٍ عن الاهل صفر الكف منفرد كالسيف عُرِّيَ متناه عن الخلل

وقال الصفدى : « وما أحسن ما كشف المعرى هذا المعنى بقوله :

وان كان فى لبس الفتى شرف له فما السيف الا غمده والحمائل

وقال البحترى يعزى بولد :

تعزَّ فان السيف يمضى وان وهت حمائله عنه وخلاه قائمه

---

(1) الصفدى ١ : ٧١ .

(2) ذكر الميدانى ٢ : ١٤٤ ( ط . بولاق ١٢٨٤ : « يضرب المثل عند التبرى من الظلم والاساءة » .

وقال النمر بن تولب :

فان تك أثوابي تمزقن عـــن فتى    فاني كنصل السيف فى خلق الغمد

وقال لبيد بن ربيعة :

فأصبحت مثل السيف اخلق غمده    تقادم عهد القين والنصل قاطع[١]

وليس لأحد أن يجرؤ فيقول ان الطغرائى سرق معناه من سابقيه ، بل اننا لنسائل عن سر ذكر هذه الابيات التى ورد فيها « السيف » ... ان ذلك ما يمكن أن يخيل الى القارىء ان الطغرائى يسرق ـ وصدق الراوي اذ قال « ان هذا المعنى ملقى على مدزجة السابلة »[٢] .

اننا لو أردنا أن نتبع مذهب الصفدى وتابعيه أطلنا وأتعبنا دون نتيجة . وما يمكن أن يقال فى أبيات لامية الطغرائى يمكن أن يقال فى كل قصيدة مناظرة . ومع هذا ، لنقف عند البيت :

وضج من لغب نضوي وعج لمـــا    ألقى ركابي ولج الركب فى عذلى

فقد قال الصفدى : « فى قوله وضج من لغب نضوى غنية عما يقول فيما بعده : وعج لما ألقى ركابى ، لأن المعنى واحد ، فكل منهما يغنى عن ذكر الآخر ، فان ضجيج النوق هو عج الركاب ..[٣] » .. وقد أخذ بيت الشريف الرضى برمته من قوله :

.. ووقفت حتى ضج مـن لغب    نضوي ولج بعـــذلى الـركب[٤]

أما أن يكون الطغرائى قد أخذ بيته من بيت الشريف الرضى فذلك ما لا يحتاج الى نص ، ولا الى ضجيج وانه ما لم يرد الشاعر اخفاءه بعد أن أخذه بنصه . ولنتذكر ان الطغرائى الآن فى « مقطع الغزل التقليدى » من اللامية . واذن فلسنا بصدد الاصالة والحالة النفسية ، انما هى صناعة وبراعة فى الصياغة . والحقيقة ان الصفدى بالغ عندما آخذ الطغرائى على : « وعج

---

(١) الصفدى ١ : ٨١ .
(٢) الراوى ٦ : ٣ .
(٣) الصفدى ١ : ١١٢ .
(٤) نفسه ١ : ١١٦ .

لما ... » كأنه يريد أن ينفى من طرائق اللغة العربية الازدواج وما يشبهه ، وكأنه يجهل الايقاع الموسيقى الذى ولد من توالى ضج وعج ولج ..

كما ان من يقول :

تقدمتني اناس كان شوطهم وراء خطوى اذ امشى على مهل

لا يضمر اخفاء المصدر الذى أخذ منه ، فما كان الشريف الرضي نكرة ، وقد قال :

فلِم أنا كالغريب وراء قوم لو اختيروا لقد كانوا ورائي[1]

ولكن الحالة واحدة ، وجاء بيت الطغرائى منسجما كل الانسجام مع ما قبله وما بعده ، وقد يكون أمتن وأعنف من بيت الشريف الرضي ، الا أن الصفدى لم يذكره ، ولم يشر اليه .

وبعد

فمن الظلم أن نجرد اللامية من كل معنى أصيل ، وأن نتهم صاحبها بأنه استل معانيه من غيره الماما وسرقة وسلخا . فنحن لا نشك أن الطغرائى حفظ كثيرا واعجب بروائع الشعر العربى وبالشريف الرضي ، وانه اختزن ما حفظ ، وتسرب نسغ منه الى أشعاره ؛ ولكن اللامية جاءت أصيلة أعربت عن حالته النفسية التى عاناها هو من دون تلكؤ ومن دون ما يشير الى انه كان يعمد الى التقليد والمعارضة والاخذ ، فلقد كان من السيطرة بحيث أعرب طواعية وجرى هدّارا . واذا ما ورد على لسانه - وهو فى هذه الحالة - لفظ أو معنى أو تركيب لآخرين فذلك مما أملته الحالة المشابهة ومما انساب انسيابا ، ومما يدخل بعضه فى باب التضمين .

وما كان الطغرائى من الغباء بحيث يجهل ان الناس يعلمون ان المعرى قال :

واني جواد لم يحل لجامه وعضب يمان اغفلته الصياقل

وأن امرأ القيس قال :

وقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

---

(١) ديوان الشريف الرضى ١ : ١٧ .

## (٢)

وما قيل فى المعانى يمكن أن يقال فى وجوه البلاغة العربية ،وانك لواجد فى اللامية كثيرا منها : الطباق ، المقابلة ، الجناس ، التقسيم ، الاستعارة المكنية .. مما لا داعي الى النص عليه .

ولا نشك أن الشاعر كان يرغب فى أن يحلى نظمه بهذه الوجوه ، وان عصره كان يرتاح اليها ويطلبها .

ولكنها جاءت فى اللامية مقبولة وغير مستثقلة او قل انها جاءت سهلة على لسان معود ومن قريحة ثرة وفى حالات نفسية تمنح الصناعة طبعا ، والعظام لحما فتنسجم فيها العناصر المختلفة وتهبها قوة وحياة .

ولا تنس ان الشاعر صناع ماهر مضت عليه ـ قبل اللامية ـ أكثر من ثلاثين سنة وهو يحوك وينسج ويهيىء آلاته .

وكان طبيعيا أن يبدو أثر الصناعة على أبرز ما يمكن فى مقطع الغزل التقليدى حيث تخف الحدة ويضعف النفس ويكون للؤلف متسع من الوقت يبذله فى التنميق وثروة من التراث يستغلها فى البناء .

ولغة اللامية من أفصح ما يكون لفظا ، وأفخمه تركيبا . انها لغة امرىء أخذ اللغة عن أصولها وتبحر في مظانها ونصوصها ومرن نفسه عليها حتى طوعها لقلمه ولسانه واستوت لديه اللفظة السهلة والصعبة والقريبة والبعيدة وانه ليركبها وكأنه لا يفطن الى مواضع الغرابة فى الاداة .

ان عددا لا باس به من المفردات يبدو ـ غريبا علينا ـ وعلى أسلافنا . والا ، لما سودت الصحف فى شرح اللامية وبيان معانيها . هذا صحيح ، وأصح منه انك حين تقرأ القصيدة لا تواجه هذه الغرابة ، انما الذى تنساق فيه هو الجو ـ وحسب الشاعر الفحل ان يخلق جوا ؟ حتى اذا رحت تحلل القصيدة بيتا بيتا والبيت كلمة كلمة رأيت صعوبة المواد التى كونت هذا البناء الشاهق .

وهذا طبيعى ، لان القصيدة أصيلة وصادقة أعرب فيها الشاعر عما

عانى وقد أصيب فى صميم وجوده .

ويتميز المقطع الغزلى بأوفر حظ من المفردات الغريبة ، وهذا طبيعى أيضا ، لأنه تقليد وصناعة وبراعة .

## (٣)

أول ما يفهم من قصيدة تسمى « **لامية العجم** » ان صاحبها عجمى ، أو انها تمجد العجم وتسجل مفاخرهم عبر التاريخ ومثلهم العليا التى يتميزون بها عن سائر الامم وانها تحمل طابعا من الشعوبية وتفضيل الفرس على العرب ، او انها تحفظ ـ فى الاقل ـ معالم أخلاقهم وبسمات معاشهم . وألا تكون فردية يتحدث فيها شخص بعينه عن حادثة خاصة به اكتنفته خلال فترة معينة .

فماذا فى اللامية من هذه الامور ؟ ليس فيها شىء . فليس الطغرائى شاعرا عجميا . هذا أمر أصبح مفروغا منه[١] ، فلقد نسبته مصادر مهمة لأبي الاسود الدؤلي[٢] وأبو الاسود عربي وبنو دئل من كنانة من عدنان[٣]. أما أن يلقب أحيانا بالاصبهانى وانه من مواليد هذه المدينة وفى أسرة تقطنها، فليس لذلك من دلالة كبيرة ، فلطالما سكنت هذه المدينة أسر عربية منذ دخلها العرب مبكرا في العصور الاسلامية ، وطالما حمل المشاهير نسبا الى مساقط رؤوسهم . وقد كان أبو الفرج ـ صاحب الاغانى ـ أصبهانيا قبل

---

(١) الطاهر ١ : ٧٩ ـ ٨٠ .

(٢) نقله على رضائى عن العماد ، وكده ابو الفدا ١ : ٢٤٧ ، ابن الوردى ٢ : ٣١ ، البارزى فى مختصره لوفيات الاعيان ، وينظر سبط ابن الجوزى وابن جماعة .

(٣) القلقشندى ص ٥٤ ( وينظر الفيروز ابادى فى المحيط ) . وقد يرد الطغرائى على : « الليثى » كما فى مخطوطة لندن ٧٥٣٠ ، وابن جماعة بسند عن السمعانى و ١٧٥أ ؛ وفى البداية والنهاية ١٢ : ١٩٠ . وليث بطن من بكر من كنانة كما فى القلقشندى .

الطغرائي ، والعماد ـ صاحب خريدة القصر ـ أصبهانيا بعده ، وكلاهما عربي دون شك • أضيف الى أن ليس في شعر الطغرائي ولا في الاحاديث عنه مايدل على فارسيته • ولم نجد النص على انه عجمى فارسى الاصل الا لدى مؤلفين متأخرين مثل هيوار ، ونيكلسن ، والزيات ، محمود مصطفى ، وحنـــا فاخورى ...[1]

وليس لهذا أية دلالة ، فهم متأخرون جدا ، ولم يتسع لهم الوقت للتجرد فى التحقيق وانهم تأثروا بنسبة « الاصبهاني » و بـ « لامية العجم » •

ثم انك تقرأ اللامية فلا تجد فيها داعيا لربطها بأمة من الامم ، فلا هى للعرب ولا هي للعجم ولا هي لغيرهم ، انها لا تتحدث عن العجم ولا الى العجم بقليل أو كثير ، لا مدحا ولا ذما • ولا يمكن أن تكون مصدرا في دراستهم •

بل انها ـ اذا كان ولا بد ـ أصلح أن تكون مصدرا عن أخلاق العرب ومعاشهم[2] ، ولا يقصد بذلك أن تكون صفحة من تاريخ بغداد فى مطلع القرن السادس ، انما يقصد انها ، فى المقطع الغزلى ، تبين صورا من أخلاق العربى والعربية فى البادية بين الشجاعة والكرم والحب والكره والاستار والكلل ، سجلتها باعجاب وتقدير بعد مر قرون واعوام •

اذن ، كيف أصبحت لامية للعجم ؟ لا أدرى ؟ فالمؤلف لم يسمهـــا كذلك حين نظمها وحين رواها ، وحين رويت عنه • ثم كان الديوان الذى جمعه الشاعر نفسه ولم نجد على رأس القصيدة أكثر من « قال في مدينة السلام عام ٥٠٥ » •

وتحدث العماد الاصبهانى[3] ـ وهو معاصر ـ ولخص حديثه على

(١) فى كتبهم عن تاريخ الادب العربى • وفى اعجام الاعلام لمحمود مصطفى •
(٢) ينظر الراوى ٥ : ٤ •
(٣) الخريدة ، قسم بلاد العجم •

رضائي[1]، ولم يقرنه أو يقرنها بالعجم وانما اكتفى بأن قال « نبدأ بلاميته ». ثم تحدثت عنها مصادر أخرى ...

ولعل أول تسمية لها بلامية العجم نراها فى « ارشاد الاريب » لياقوت الحموى المتوفى عام ٦٢٦ أى بعد تأليف اللامية بمئة وعشرين سنة . وقد قال : « ومن شعر مؤيدالدين الطغرائى قصيدته التى تداولتها الرواة وتناقلتها الالسن المعروفة بلامية العجم [2] » . ومن الممكن أن تكون الالسن التى تناقلتها حملتها هذه التسمية .

ثم يأتى ابن خلكان فيقول شيئا يشبه ما قاله ياقوت : « المعروفة بلامية العجم » [3] .

حتى اذا جاء الصفدي أثنى عليها الثناء العاطر وخصها بشرح مسهب سماه « الغيث المسجم في شرح لامية العجم » بل أكد وعلل : « وأما هذه القصيدة اللامية فانما سميت لامية العجم تشبيها بلامية العرب لأنها تضاهيها فى حكمها وأمثالها . ولامية العرب هى التى قالها الشنفرى ، وأولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ... فانى الى قوم سواكم لأميل

.. وحسبك ان الناس قالوا فى هذه القصيدة انها لامية العجم فى نظير تلك بمعنى ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم لامية مثلها تناظرها ، واضافة الشىء الى شىء مشهور او أعظم تدل على شرف المضاف ... » [4] .

وقد فتح الصفدى بأقواله هذه أبوابا لا داعى لفتحها ، وقد ظلت مفتوحة مدى قرون[5] . فلقد جرّ شرحه ـ كما سنرى ـ سلسلة من

---

(١) على رضائى ، عود الشباب .. وقريب من هذا ما رواه الحسامى فى مختصره لابن النجار فقال : « وهو صاحب القصيدة الغراء التى اولها : أصالة الرأى ... » و ٣٥ ب .

(٢) ياقوت ١٠ : ٥٩ ـ ٦٠ ( الحسين .. ) .

(٣) ابن خلكان ١ : ٢٨٤ ( الحسين .. ) .

(٤) الصفدى ١ : ١٣ .

(٥) طاشكبرى زاده ١ : ١٨٩ ( علم الدواوين ) .

الشروح تلخيصا وردا ، محتفظة ـ في الغالب ـ بنسبتها الى العجم ومقارنتها بلامية العرب • ونقل العاملى عن الرياض : « ومن مشهور شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم لأن ناظمها عجمى أصبهانى •• وذلك فى مقابلة لامية العرب •• »[1] وأبدل حنا فاخوري بـ « مقابلة » « تميزا لها عن » ••[2]؛

وجر ربط لامية الطغرائى بلامية العرب الاب لويس شيخو ٦ : ٢٠٤ ـ الى أن يضعها فى سلسلة الشعر القديم الذى يقصد به الجاهلى ، فقد جاء الشنفرى بعد عنترة وجاء الطغرائى بعد الشنفرى • بل ان المرحوم الراوى « فرض ان الذى سماها لامية العجم هو الطغرائي نفسه » و « ناقشه الحساب على هذه التسمية » وانطلق فى المناقشة من مقارنتها بلامية العرب فقال : « هل فكر الطغرائى عند معارضته لتلك القصيدة ان يرسم لنا فى قصيدته صوراً صادقة من أخلاق العجم ومطاوى نفسياتهم وكيفية معاشهم فى حواضرهم وأريافهم ؟••»[3]

أجل ، لقد فتح الصفدى أبوابا ظلت مفتوحة ، وما كان لها أن تبقى كذلك • فلم يسم الطغرائى قصيدته بلامية العجم ، ولم يدر بخلده أن يعارض لامية العرب ، ولم يشهد المقابلة بين « اللاميتين » • والحقيقة ـ ولما أبان المرحوم الراوى [4] ـ ليس هناك أى مجال للمقابلة بين اللاميتين ، وليس هناك أى داع • انه لمن السخف ان تعقد مقارنة بين قصيدتين لا رابط بينهما ولا يتشابهان في الوزن او ايقاع لام القافية[5] •

---

(١) العاملى ٢٧ : ٧٩ •

(٢) الفاخورى ، ٧٢٠ •

(٣) الراوى ٥ : ٤ ـ ٥ • وحمل الاعتقاد بفارسية الطغرائى الكنعانى ص ٢٤ الى ان يقول ـ وهو يقابل بين اللاميتين : « امتازت لامية الشنفرى بالصراحة •• اما الطغرائى فهو يوصيك بالحذر والتكتم ••• وهذا التباين ليس بغريب فعربى الصحراء غير اعجمى المدينة » •

(٤) الراوى ٥ : ٤ ـ ٥ •

(٥) شرح لامية العرب الزمخشرى ( المتوفى سنة ٥٣٨هـ ) فى كتاب خاص سماه : « اعجب العجب فى شرح لامية العرب » طبع عام ١٣٠٠هـ (فى مجموعة منها المقصورة الدريدية) ، وطبع مع شرح آخر لابن زاكور =

لقد آن لباب المقابلة بين « اللاميتين » أن يسد [1] .

## (٤)

### لماذا تناقلت الالسن اللامية ؟

كان الطغرائى أول من أعجب بها ورواها ، وقد يكون مرد ذلك كونها تصور جانبا من نفسه وتؤرخ حدثا ضخما فى حياته ، ولأنها شامخة فخمة جاءت على صعيد الشعر العربى العالى ، وعلى عموده المستحب المستعذب فى كل العصور دون أن تنسى ذوق عصرها فى المعانى والبيان والبديع .

ورواها عنه المعاصرون

« وتداولتها الرواة » وشرّقت وغرّبت .

ويبدو ان ذيوعها لا يكمن فى دلالتها على شاعرية صاحبها قدر ما تضمنت من « أمثال وحكم » يمكن أن يستشهد بها الانسان فى سرّائه وضرّائه ، وآلامه وآماله ، وتفاؤله وتشاؤمه . فاذا برم ببلد قال « فيم الاقامة فى الزوراء .. » واذا آثر السلامة قال : « حب السلامة يثنى هم صاحبه .. » واذا حث على التنقل : « ان العلى .. » واذا ضاقت به الدنيا :

---

= المغربى ( أحد أعلام المغرب فى القرن الثانى عشر ) عام ١٣٢٨ (ط ٣) ، وطبع الشرحان يليهما شرح ابن احمد المالكى سنة ١٣٢٤ ( القاهرة — كما يذكر سركيس ص ١٩٦٤ ) .

ومن المفيد ان نذكر ان للامية العرب شرحين مخطوطين ( صورتهما فى المجمع العلمى العراقى ) للسويدى ( ابى البركات عبدالله بن الحسين بن مرعي ) ويقع فى ٦٦ ورقة ؛ وللشاوى ( سليمان بن عبدالله ) ويقع فى ١٧١ ورقة ، تم سنة ١١٣٨ .

والمهم ان هؤلاء الشراح (الزمخشرى وابن زاكور والسويدى والشاوى) لم يشيروا الى الطغرائى أو لاميته وتمسك الشارحان الاخيران بما روى من ثناء عمر بن الخطاب على لامية العرب واستدلا بذلك على عظمتها . وفى المكتبة العباسية مخطوطة من شرح النقچوانى ، ينظر الخاقانى .

(١) بل ان الدكتور البصير ، ص ٧٤ ، يرى ان لامية العرب منحولة ، وانها تسيء الى سمعة العرب ، وانها شعوبية قد تكون لامية خلف الاحمر نحلها الشنفرى وسماها لامية العرب ، لانها تصف العرب باللصوصية وقتل النساء والاطفال وأكل التراب .

« أعلل النفس .. » واذا برم بساسة عصره : « ما كنت اوثر .. » واذا اشتد يأسه من الانسان : « اعدى عدوك .. » واذا دعا الى القناعة : « فيم اقتحامك .. » .. وهو فى كل حال يجد فى البيت « البلسم الشافى » والتجسيد المناسب لما هو فيه ، كما يستشهد المرء بالمثل الشائع ، وكما سارت أبيات المتنبى .

ان هذه الامثال هى التى عملت على بقاء القصيدة وتنقلها بين الاجيال[1] ، وعلى عناية الناس وروايتها وشرحها ومعارضتها ـ وحتى ترجمتها .

ولقد أدركنا جيلا يحفظها ويعتز بها ويرسل أبياتها فى مناسبة وأخرى من مناسبات الحياة : فيم الاقامة .. أعلل النفس .. حب السلامة .. وانما رجل الدنيا ..

ولا شك فى أن حفظ اللامية بهذا المعنى ، يدل على أن الناس قدروها بأمور هى خارج طبيعة العمل الادبى ، خارج الفن وما حفلت به هذه القصيدة من جلال فى التراكيب وفى العواطف ، وفيما عبر به صاحبها عن حالات نفسية عاناها ومتناقضات أثقلت كاهله .

ولم تكن اللامية وحيدة فى هذا الباب ، فان أكثر الشعر العربى الذى تناقلته الاجيال الاخيرة كان بمقياس خارجى يتصل بالحكم والامثال او بالجناس والطباق .. ولقد « خلد » هذا المقياس كثيرا من الشعر الردىء وعفى على كثير من الشعر العالى .

حتى كانت النهضة الحديثة وأعيد النظر فى المقاييس ..

وصحيح ان في اللامية حكما وأمثالا ، ولكننا لا نعجب اليوم بها لمجرد وجود الحكم والامثال ، ولا نعد ذلك سرا فى خلودها . ان خلود اللامية يكمن فى عمق التجربة والعواطف التى عبرت عنها بقدرة وتمكن .

ان هذه العواطف والحالات النفسية التى هى عواطف رجل بعينه

---

(١) ذكر القمى ٢ : ٤٠٨ « انها قصيدة فائقة اعتنى بها الفضلاء ويجرى ذكرها فى اندية الادباء » .

عاش في القرن الخامس ـ السادس للهجرة ، انها من القوة بحيث يحس أنفسهم فيها ملايين الناس في مشارق الارض ومغاربها ، فاذا أصابهم الخير وجدوا أنفسهم فيها ، واذا أصابهم الشر وجدوها كذلك • انها تجربة خاصة ، ولكن صاحبها كان من القوة والعنف بحيث اكسب هذه التجربة الشمول والدوام ، وبحيث دل على استيعابه مجتمعه وانعكاساته فى نفسه •

**(٥)**

اللامية من القصائد القليلة التى لقيت عناية مدهشة لدى الشرّاح حتى زادت شروحها على العشرة[١] •

(١) شرح أبى البقاء عبدالله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦[٢]•

(٢) شرح صلاح‌الدين خليل بن ايبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ • وهو ضخم يقع في جزءين • طبع للمرة الاولى عام ١٢٩٠ ، وللثانية عام ١٣٠٥ وتبلغ صفحات هذه الطبعة ٥٤٤[٣] • وقد ذكره الصفدى فى الوافى عندما ترجم للطغرائى وتحدث عن اللامية فقال : « وقد وضعت عليها شرحا فى أربع مجلدات »[٤]•

(٣) شرح الشيخ كمال‌الدين محمد بن موسى الدميرى المتوفى عام ٧٣٩ • وهو تلخيص لشرح الصفدى • منه مخطوطتان فى كمبرج ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ • ذكر فيه الدميرى « ان الصفدى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائد الا ّ أظهرها غير انه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة

---

(١) اورد أكثر هذه الشروح حاج خليفة ، باب اللام ، ١٥٣٦ ـ ١٥٣٧ (= ٥ : ٢٩٢ ـ ٢٩٥ ط•فلوجل) • واشار بروكلمان الى عدد من نسخها المخطوطة •

(٢) منه نسخة غير كاملة فى الاسكوريال ، وينظر دربنورك ، ٢٠٤ •

(٣) طبع بعنوان « الغيث المسجم فى شرح لامية العجم » ، ورد اسمه لدى حاج خليفة ، طاشكبرى زاده ١ : ١٨٩ ( علم الدواوين ) وفى بعض الشروح الاخرى على : « الغيث الذى انسجم ••• » • ينظر عن الصفدى ، العسقلانى ٢ : ٨٧ ؛ السبكى ٦ : ٩٤ •

(٤) الوافى ١١ : ٥٩ •

ومن نكتة الى نكتة .. فهو غريب فى بابه عزيز عند طلابه » فلخصه .

(٤) شرح بدرالدين محمد بن أبى بكر ( بن عمر ) بن محمد بن سليمان المالكى الدمامينى المتوفى سنة ٨٢٨ . واسم الشرح : « نزول الغيث الذى انسجم على شرح لامية العجم . منه مخطوطة فى دار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٤١ ، ومخطوطة فى ليدن ، رقم ١٠٠٦ تقع فى ١٢٥ ورقة .

جاء فى مقدمته : « .. أما بعد .. فان بعض سكان الاسكندرية ممن يزعم انه من طلبة العلم .. شاهدته يطنب فى شكر الكتاب الذى وضعه صلاح الدين خليل الصفدى شرحا على لامية العجم ويرى انه حلو فى الذوق ، خلو من العجم .. فكنت أود لو وقفت على هذا الكتاب لأقضي منه الوطر .. فلما ارتحلت الى الديار المصرية فى أواخر سنة ٧٤٩ وقفت عليه وقوف منتقد لما فيه من الزيف ، سالك معه سبيل الانصاف منكب عن طريق الحيف فوجدت هذا الصلاح قد ارتكب خطبا جليلا .. فأردت أولا نبذ هذا الكتاب وطرحه .. ثم اردت فى الوقت الحاضر تبكيت ذلك الكاذب .. فكتبت فى هذه الاوراق ما تيسر من الاعتراضات التى عرضت والانتقادات الصحيحة التى آلمت المعاند وأمرضت . وحيث كان ذلك التصنيف موسوما « بغيث الادب الذى انسجم فى شرح لامية العجم » رأيت ان اسمى هذه المناقشات « بنزول الغيث » لانها التى انزلته الى الحضيض وأوقعته من اعتراضاتها في الطويل العريض[١]..

ويسير فى المناقشات وكلها فى النحو والعروض واللغة والبديع لا تمس اللامية ولا تتصل بها[٢] .

(٥) قطر الغيث المسجم في شرح لامية العجم للشيخ عبدالرحمن

---

(١) عن مقدمة مخطوطة ليدن .

(٢) فى هامش ص ١٢١٢ من سركيس : « ... منه نسخة نفيسة فى الخزانة التيمورية وثلاث نسخ .. فى دار الكتب المصرية . ورد على الدمامينى علاءالدين ابن اقبرص .. المتوفى سنة ٨٦٢ فى كتاب سماه تحكيم العقول بأفول البدر بالنزول . » الخاقانى ، منه نسخة فى المكتبة العباسية .

الشافعى .. الطبيب .. مقتديا بالصفدى والدميرى[1] .

جاء فى مقدمته : « .. أما بعد .. فانه ما خفى على سراة الادب .. من أن الشيخ الصفدى .. أتى فى شرح لامية العجم بفضلات غير ملائمة لشدة شغفه بالكثرة .. وقد رُسم لى أن اختصر هذا الشرح .. وكان الشيخ قد سمى شرحه « غيث الادب الذى انسجم » ولكن ما انتظم له انسجامه . وقد اسمت مختصرى هذا « ببروق الغيث » وهو البروق التى تومض من سواد السطور في حنادس الظلام ، ولم أورد من غيث الادب الا ما تروى به أذواق من تأدب لئلا يقال ان فى بروق هذا الغيث برقا خلبا . فان علامة العصر القاضى بدرالدين الدمامينى المالكى المخزومى فسح الله فى أجله تقدمنى فى تصنيف كتاب سماه نزول الغيث .. »[2]

منه مخطوطة فى ليدن ، رقم ١٠٣٦ . وقد طبع فى بولاق سنة ١٢٥٠ وانتفع بـه H. Van der Slooot

**(٦)** شرح علي بن قاسم الطبرى[3] واسمه « حل المبهم فى شرح لامية العجم » .

**(٧)** شرح أبى جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجى ثم المراكشي ، واسمه « ايضاح المبهم من لامية العجم » . وقد جاء فى مقدمته : « .. وبعد .. فان اللامية .. اشتمل عقدها من نفيس المعانى على درر مكنونة .. بيد أن شارحيها لم يشفوا غليل المتأمل ، فمن مقصر مخل ، ومن مطول ممل . فأشار من تتعين عليّ طاعته عند قراءتها عليه وتصحيح ألفاظها لديه بأن أضع عليها شرحاً يكشف القناع عن وجوه محاسنها .. سميته ايضاح المبهم من لامية العجم .. وجعلته تحفة مهداة لحضرة الملك الاعظم.. السلطان أبى العباس أحمد بن مولانا الملك الاشرف أبى عبدالله محمد

---

(١) طبع على هامش « نفحات الازهار على نسمات الاسحار فى مدح النبى المختار لعبدالنبى النابلسى » ، فى بولاق ودمشق ١٢٩٩/١٨٨٧ .
(٢) مخطوطة ليدن .
(٣) يذكر حاج خليفة انه توفى فى حدود ٦٨٣ .

الشريف الحسني .. »[١]

منه مخطوطتان فى ليدن ٦٥ ، ٧٧٧ . وقد وردت « أبي جمعة » على « ابن جماعة » وفى كشف الظنون .

(٨) شرح الشيخ جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمى المتوفى سنة ٩٣٠[٢] مسموما بالهند . وسماه « نشر العلم فى شرح لامية العجم » أوله : « الحمد لله الكريم المنان .. » « ذكر فيه انه جرد أكثره من شرح الصفدى واختار محاسن شعره ، واقتصر منه على ما يتعلق بشرح القصيدة وذكر فيه ان الصفدى شرحها فأوعى وأوعب ، وأطنب وأسهب ، وأعجب ، وأغرب ، وأطلق أعنة الاقلام وجر أذيال فضول الكلام ، وأسهل وأوعر وأنجد وأغور ، واستطرد من فنون الى فنون ، واسترسل فى شجون من الجد والمجون حتى صار ذلك التطويل سبباً للعجز عن التحصيل ، هذا مع ما خرج فيه عن الحد ، وطغى الماء فى المد من مستهجنات هزله التى لا تليق بقلمه وفضله بما لا يحل ذكره . بل تخل بالعدالة روايته وسماعه .. »[٣]

مخطوطاته فى عدة مكتبات . وقد طبع فى القاهرة أكثر من مرة .

(٩) بروق الغيث لابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ . منه نسخة في ليدن رقم ١٠٣٦ .

(١٠) شرح جلال بن خضر الحنفى ، ألفه بقسطنطينية فى محرم ٩٦٢ . أوله « حمداً لمن هدانا بأوضح تبيان .. سماه نبذ العجم عن لامية العجم . وهو شرح مفيد متوسط ، أكبر من شرح أبي جمعة بقليل »[٤] .

منه نسخة فى كمبرج ، رقم ١٠٥٧ ونسخة ( ناقصة ) فى المتحف البريطانى رقم ٣١٦٤ . وجاء فى مقدمته : « .. التمس مني بعض الفضلاء

---

(١) عن مقدمة مخطوطة ليدن ٧٧٧ .

(٢) وروى ٩٣٩ . قال سركيس ٥٣٢ ـ ٥٣٣ : ولد عام ٨٦٩ بحضرموت ، وسلك السلوك فى التصوف ، توفى عام ٩٣٠ وطبع نشر العلم بمط . كاستلى سنة ١٢٣٨ وبالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٩ ، ١٣٢٠ .

(٣) حاج خليفة .

(٤) حاج خليفة وقد وردت » أبى جمعة « على « ابن جماعة » فى ط . استانبول ، وابن الجماعة فى ط . فلوجل .

الفخام والادباء الكرام من أعيان الروم •• أن أشرحها شرحا ليس بالطويل الممل •• ولا بالقصير المخل •• فاعتذرت •• فلما لم تقبل هذه الاعذار •• التمست شرحاً من شروحها لأحذو حذوه •• فسألت عن ذلك جمعاً من الاعيان والاخلاء والاخوان •• فلم يجب أحد عنه •• وكان ربوع هذا العلم قد درست عليه الدارسات •• فاستخرت الله •• وشرعت •• » [1]

(١١) شرح حسين الكفوي • جمعه من الشروح ، كشرح الصفدي وشرح القاضي جلال الدين المدني • وذكر اعتراض الدماميني باسمه •

منه مخطوطة فى المتحف البريطانى رقم ٢٣٫٥٩٤ وتشير الى أن الشارح كان بمكة •

(١٢) حاشية الشيخ عبدالرحيم بن عبدالرحمن العباس المتوفى سنة ٩٦٣ على شرح الصفدى [2] •

(١٣) الأرب من غيث الادب ، طبع فى بيروت سنة ١٨٩٧ •

(١٤) شرح الميناوي •

تحفة الرائى للامية الطغرائى • طبع فى القاهرة ( بولاق ) ١٣١١ •

لقد انتشرت اللامية وشروحها فى العالم ، ولا تخلو اليوم مكتبة تعنى بالمخطوطات من شرح أو أكثر من شروحها •

لقد شرحت هذه الكتب اللامية ، وبلغ شرح الصفدى درجة من الضخامة تدعو الى العجب • فماذا فعلوا ؟ انهم يبدأون بتفسير المفردات تفسيرا قاموسيا ثم يعربون أعرابا مدرسيا ثم يلخصون مجمل معنى البيت وقد يستشهدون بأبيات من هذا الشاعر او ذاك لكل مناسبة •

وربما كان العكبري أول من سن هذا المنهج فى شرح اللامية • ولقد بالغ الصفدى فيه • ولك أن تسأل ماذا فى شرح الصفدى ؟ وكيف تسنى له ذلك ؟ ولو شئنا القسوة ـ أو المداعبة ـ لقلنا : ان في شرح الصفدي للامية

---

(١) مخطوطة لندن و ٤ أ •

(٢) فى طبعة فلوجل لكشف الظنون ••• العباسى •

كل شيء الا شرح اللامية • ذلك انه اتخذ القصيدة وسيلة لغاية أبعد ليست من اللامية فى شيء ، لقد كان يخرج لمناسبة وغير مناسبة ليحدثك عن المصدر وحروف الجر والخسوف والكسوف والافلاك وما قاله فلان وفلان قبل الطغرائى ، وما قاله فلان وفلان بعد الطغرائى ؛ وقد ضاعت اللامية فى هذا الخضم المضطرب •

وقد تنبه القدماء الى مساوىء شرح الصفدى هذا فعملوا الملخصات[1] والفوا شروحا نزهوها من الاستطراد والاطالة • ذلك انك مهما تقل فى الحط من شرح الصفدي لا تستطيع ان تدعى انه مما يستغني عنه طالب العلم بمفردات اللامية واعرابها ومعانى أبياتها ، فلابد من تجريدها • ولقد استعنا به ـ كما رأيت فى حواشى النص الذى اثبتناه للقصيدة ـ استعانة كبيرة •

على اننا لا نعد ـ اليوم ـ شرح الصفدى والشروح الاخرى شروحا بالمعنى الصحيح • انه مقدمة للشرح ، واعانة على الشرح • ان الشرح الحقيقي هو الذي يبين جو القصيدة وظروفها وصلتها بناظمها ومدى اعرابها عن حالته النفسية وصلة المقطع منها بالمقطع والبيت بالبيت •

وانك لتبحث عن هذا فلا تكاد تجد له مكانا فى ذلك الخضم من الشروح التى تتحدث وتطيل الحديث دون ان تربط وان تصل • ولو قيض للصفدي الالمام بهذا المنهج الذى نريده لأفادنا كثيرا ، ولحفظ لنا أمورا يصعب علينا ان ندعى العلم بها • عن بغداد عام ٥٠٥ ، عن العطل الذى أصاب الشاعر ، عن الاصدقاء الذين تنكروا ، عن أصبهان ومن بقى فيها من آل الشاعر وذويه ، ولوقف عند « دولة الاوغاد والسّفل » •

اننا اذ نشتد مع الصفدي فى الحساب نكون قد حاسبناه على ما لا قبل له به ، فهو رهين عصره •

ولقد تلقف اللامية بعده كثيرون ، شرحوها ، واختاروها[2] واستشهدوا

---

(١) يذكر الخاقانى ان فى المكتبة العباسية ملخصا للصفدى لخص به « الغيث » فى أربعة أيام ••

(٢) وممن اختارها السيوطى فى الكنز المدفون ، ١١٢ ـ واحمد اليمنى الشروانى احد ادباء القرن الثالث عشر للهجرة فى كتابه « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » وطبع مرارا ، ينظر سركيس ١١٢٠ •

بأبياتها[1] وأدخلوها المدارس الحديثة[2] ولكنها لم تلق حظاً من الدراسة والتحليل ووعد اسماعيل مظهر بدراستها[3] في ضوء ما سماه « هدوء النفس الثائرة » فلقد قال ان فى شعر الطغرائى « الثورة يخيم عليها هدوء نفسى قلما تأنسه فى شاعر غيره . وعندى ان هذه الصفة لم تتجل فى شـــعر الطغرائى بقدر ما تجلت فى لاميته المعروفة ... » .

لقد وعد اسماعيل مظهر ان يدرسها فى ضوء جديد ودل وهو يمهد على اعجاب بها وفهم لاسرارها ولـكننا ـ لسوء الحظ ـ لم نقف على جواب لـوعـده .

ولون آخر من العناية التى لقيتها اللامية والتى تدل على اهتمام الناس بها ، واعجاب الادباء **التشطير والتخميس والمعارضة** وما اشبه .

وروى الصفدى : « انشدني لنفسه من لفظه المولى نورالدين علي بن محمد بن فرحون المالـكى اليعمرى المدنى بدمشق المحروسة فى سنة احدى وأربعين وسبعمائة هذه اللامية وقد ركب على كل صدر عجزا وعلى كل عجز صدرا فناسبها ، وهذا قصد ظريف . ومما انشدنى قوله :

---

(١) تنظر ـ مثلا ـ جريدة الشرق ، العدد ٩ ، ٥٣ سنة ١٩٢٠ ؛ الاستقلال ، السنة الخامسة ، العدد ٤٦٩ سنة ١٩٢٤ ...

واتخذ طه حسين البيت : « أريد بسطة كف ... » موضوع حوار بين التلميذ الفتى واستاذه الشيخ فى « جنة الشوك » ( رقي ١٠٦ ) .

(٢) نصت عليها أو اختارتها واختارت منها أكثر كتب تاريخ الادب التى ألفت فى العصر الحديث ، اتمـاما لمسيرتها وزيادة فى حلقاتها على الزمن ولا غرو فاكثر من الف ، واوائل من الف مخضرمون عاشوا اعقاب العصور القديمة وبدأوا العصر الجديد ومن هؤلاء البارودى ( المتوفى سنة ١٣٢٢ ، مختارات ١ : ٨٧ ـ ٨٨ : الهاشمى ( سنة ١٣١٩ ) ، المرصفى ٢ : ٢٢٦ ـ ٢٢٨ ( سنة ١٩٠٨ ) ، زيدان ٣ : ٢٣ ( سـنة ١٩٣١ ... ) ، الزيات ، ٢٨٢ ( ط ، ٦ ، ١٩٣٥ ) الاثرى ( وجماعة ) ، الاساس ، للصفوف الرابعة الاعدادية ، ١٤٦ـ١٤٧ ( سنة ١٩٥٢ ) ...

(٣) مظهر ، مجلة الرسالة ، العدد ٢٠٩ ص ١٠٠٥ ـ ٦ .

أصالة الرأى صانتنى عن الخطـل وسرعة الحزم ذادتنى عن المـذل
وحلة العلـم اغنتنى ملابســها وحلية الفضل زانتنى لدى العطـل
مجدى أخيرا ومجدى اولا شرع وسؤددي ذاع فى حل ومرتحـل
وهمتـي في الغنــى والفقــر واحــدة
والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفـل
فيـم الاقامـة بالزوراء لاسكنى دان ولا انا فى عيش بها خضـل
وليس لى ارب فيهــا ولا خولى بها ولا ناقتي فيها ولا جملي »[١]

وقال « زعم بعضهم ان بعض الشعراء غيَّر قوافي هذه القصيدة من اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذر لأن ألفاظ هذه القصيدة في غايـة الفصاحة وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقة ولا نافرة ومعانيها بليغة غير ركيكة وقوافيها فى غاية التمكن »[٢] .

وأورد أبياتا فى معرض مدحها والثناء عليها يمكن ان تكون ضربا من المعارضة فى الوزن والقافية :

فما لها فى الورى مثــل يناظرها وكم لها سار بين الناس من مثل
اقمارها فى تمام النظم قـد طلعت تسير فى أوج معنـاها ولم تفل
وزهرهـا لم تزل تندى غضارتـه لأن منبتـه في روضهـا الخضـل
يرتاح سامعها حتى يهـز لهـــا من التعجب عطف الشارب الثمل
فـلا تعـر غيرهـا سـمعا ولا بصـرا
« فى طلعـة الشمس ما يغنيـك عن زحـل »[٣]

على ان الصفدي ـ وهو المعجب المستهام باللامية ـ عارضها وكان مما قـال[٤] :

---

(١) الصفدى ١ : ١٨ .
(٢) نفسه ١ : ١٣ .
(٣) نفسه ١ : ٣ .
(٤) الشروانى ، نفحة اليمن ، ٤١٥ ؛ الهاشمى ، جواهـر الادب ( فرغ من جمعه سنة ١٣١٩ ) . وليلاحظ ان الصفدى لم يشر فى « الغيث » الى معارضته .

الجَدُّ في الجِدِ والحرمانُ في الكسلِ
فانصب تُصب عن قريب غاية الامل

واصبر على كل ما يأتي الزمان به صبر الحسام بكف الدارع البطل
وجانب الحرص والاطماع تحظ بما ترجو من العزّ والتأييد في عجل
ولا تكوننْ على ما فات ذا حَزن ولا تظلّ بما اوتيت ذا جذل
واستشعر الحلم فى كل الامور ولا تسرع ببادرة يوما الى رجل
وان بُليت بشخص لا خلاقَ له فكن كأنك لم تسمع ولم يقُل
ولا تمار سفيها فى محاورة ولا حليما لكى تقصى عن الزلل
ولا يغرّك من يبدي بشاشته اليك خَدعا فان السمَّ في العسل
وان اردت نجاحا كل آونة فاكتم أمورك عن حافٍ ومنتعل
ان الفتى من بماضي الحزم متصفٌ وما تعود نقض القول والعمل
ولا يقيم بأرض طاب مسكنُها حتى يقدّ أديمَ السهل والجبل
ولا يضيّع ساعات الزمان فلن يعود ما فات من أيامه الأُول
ولا يراقب الا من يراقبه ولا يصاحب الا كل ذي نُبَل
ولا يعُد عيوباً للورى أبداً بل يعتني بالذي فيه من الخلل
ولا يظن بهم سوءاً ولا حسَناً بل التجارب تهديه على مهل
ولا يؤمِّل آمالا بصبح غد الا على وجل من وثبة الاجل
ولا يصد عن التقوى بصيرته لانها للمعالى اوضح السبل
فمن تكن حلة التقوى ملابسَه لم يخش في دهره يوما من العطل
من لم تفده صروف الدهر تجربةً فيما يحاول فليسكن مع الهمل
من سالمته الليالي فليثق عجلا منها بحرب عدوٍّ جاء بالحيل
من ضيَّع الحزم لم يظفر بحاجته ومن رمى بسهام العُجب لم ينَل
من جاد ساد وحيى العالمون له بديع حمدٍ بمدح الفعل متصل
من رام نيلَ العلى بالمال يجمعه من غير حلٍّ بُلى من جهله وبَلى
من لم يصن نفسه ساءت خليقته بكل طبع ردىءٍ غير منتقل

من جالس الوغد والحمقى جنى ندما　　لنفسه ورمى بالحادث الجلل

فخذ مقال خبير قد حوى حكما　　اذ صغته بعد طول الخبر في عملي

والحكم ، والدعوة الى الصبر والحلم والكتمان والحزم وما الى ذلك مما طرب له اذ رآه في لامية الطغرائي .[1]

وروى حاج خليفة : « اللامية فى نظيرة لامية الطغرائي - للشيخ غرس الدين خليل بن محمد الاقفهسى ( المتوفى سنة ٨٢٠ ) ، على وزنها ، اولها :

دع التشاغل بالغزلان والغزل

يكفيك ما ضاع من أيامك الأول[2]

« وخمسها عمادالدين أبو جعفر محمد بن على الربعي البغدادى .. وشهاب الدين أحمد بن عبدالله الاندلسى الوادياشي واجاد . وتوفى سنة ٧٣٩ » [3] .

وفى مخطوطة بالمتحف البريطاني : « هذا شفاء السقم .. فى تخميس لامية العجم »

العلم والعقل للانسان خير حلي　　فضلي كنار القرى ليلاً على جبل

وعند مكرى سواء غامض وجلي　　اصالة الرأى صانتني عن الخطل

وحلية الحلم زانتني لدى العطل[4]

وفي احدى مخطوطات المتحف البريطاني نقرأ :

« هذه لامية العرب مبارية لامية العجم :

زيادة القول تحكى النقص فى العمل　　ومنطق المرء يهديه عن الزلل

---

(١) ولنذكر ان لامية الصفدى كانت سائرة .

(٢) حاج خليفة ١٥٤٠ .

(٣) نفسه ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ .

ومما يذكر ان حاج خليفة يذكر ص ١٥٣٩ : « لامية الروم لمحمد بن محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن الحكم الحلبى ، اولها :

حتام انظم من دمعى ومن غزلى　　أدلة وحبيب القلب معتزلى .

ويتحدث عن لامية فى العروض ولامية فى القراءات ولامية فى الكلام .

(٤) المخطوطة رقم ٧٤٣٣ ، و ٥٣ ب .

ان اللسان صـــغير جرمه ولـــه     جرم عظيم كما قد جاء في المثل ..
وتستمر فى الحـكم والجود والحلم ...[1]

وعارضها السيد أحمد الهاشمي وأثبت معارضته في كتابه « جواهـر الادب » ـ الذى فرغ من جمعه سنة ١٣١٩ :

عليك بالصبر والاخلاص فى العمل     ولازم الخير في حِلٍّ ومرتحلِ

★ ★ ★

لا تطلب العز فى دارٍ ولدت بها     « فالعز عند رسيم الأينق الذلل »

★ ★ ★

وسادة العصر قـــد ألقوا مقالدهم     الى الطغـــاة شرار الناس والسفل

★ ★ ★

فقـد فقدت الألى كانت ببهجتهم     نور النواظر فى الاحداق والمقـل

★ ★ ★

خذهـا محبّـرة غيـداء غانيـــة     أتت على عجل كالقابس العجـل
جاءت من « الهاشمى » لاتبتغى مهرا     من خاطب لبنات النظم فى عطل[2]

والقصيدة دليل آخر على ذوق العصـر وعلى مدى ما فهم المعجبون من لامية الطغرائى . وكثيرا ما ضمن الهاشمى اعجاز لامية الطغرائى .

ولا شك في أن هناك معارضات أخرى ؛ وخير معارضة ـ فيما نعلم ـ لامية البارودي[3] :

قلدتُ جيد المعالي حِلية الغـز ل     وقلت في الجدِ ما أغنى عن الهـزَ لِ
يأبى ليَ الغيَّ قلب لا يميلُ بـه     عن شِرعة المجد سحر الاعين النُجل
أهيمُ بالبيض في الأغمـاد باسمةً     عن غُرّة النصر لا بالبيض في الكِلل

---

(١) من المخطوطة ٧٥٩٨ و ١٨٠ ـ
وينظر الشروانى ، نفحة اليمن ( ينسبها لصاحبها ) .
(٢) الهاشمى ، جواهر الادب ، باب الحـكم .
(٣) ديوان البارودى ٢ : ٢٠٧ ـ . ويذكر الشداح انه قالها على قافية وروي لامية العجم للطغرائى .

لم تُلهني عن طِلاب المجد غانية
في لذة الصَّحو ما يغني عن الثَّمل

كم بين منتدِب يدعو لمكرُمةٍ
وبين معتكفٍ يبكي على طلل

لولا التفاوتُ بين الخَلْق ماظهرت
مزيةُ الفرق بين الحَلْي والعطَل

فانهض الى صَهوات المجد معتليا
فالباز لم يأوِ الا عالي القُلل

ودع من الأمر أدناه لا بعدهِ
في لجُة البحر ما يغني عن الوشل

قد يظفر الفاتك الالوى بحاجته
ويقعد العجزُ بالهيّابة الوكل[1]

وكن على حَذَرٍ تسلمْ فربَّ فتىً
ألقى به الأمنُ بين اليأس والوجَل

ولا يغُرَّنْك بشر من أخى ملقٍ
فرونق الآل لا يشفى من الغلل

لو يعلم المرءُ مافي الناس من دَخنٍ
لبات من ود ذي القربى على دخَل

فلا تثق بودادٍ قبل معرفةٍ
فالكُحل أشبه في العينين بالكَحَل

واخشَ النميمة واعلم أن قائلها
يُصليكَ من حرِّها ناراً بلا شُعَل

كم فِريةٍ صدعت أركان مملكة
ومزَّقت شمْل ودٍّ غيرِ منفصل

فاقبل وَصاتي ولا تصرِفكَ لاغيةٌ
عنّي فما كل رامٍ من « بنى ثُعل »

اني امرؤٌ كفَّنى حلمى وأدَّبني
كرُّ الجديدين من ماضٍ ومقتبل

فما سريت قناع الحلم عن سفهٍ
ولا مسحتُ جبين العز من خجل[2]

حلبت أشطُرَ هذا الدهر تجربة
وذُقت ما فيه من صاب ومن عسل

فما وجدت على الأيام باقيةً
أشهى الى النَّفسِ من حُرية العمل

وانك لواجد في هذه اللامية الفخر بالجد والطماح الى المجد وتلمس روح الحكيم المجرب الناصح بالعمل والحذر مع مسحة من الشكوى وشعور بالمرارة ؟ لكن ما يكاد يبلغ الحديث عن زمانه وسيرة حاكميه حتى يعلن ألمه الشديد ، وحزنه العميق على ما آلت اليه حاله وحال البلاد فيمنح أبياته كثيرا من العنف والقوة ، ولا تحس بأنه يعارض أو يقلد ، فكأنه انصرف الى ما هو عليه فأعرب عنه بتأثر وشدة فعل الشاعر الاصيل وكل ما يجمعه بالطغرائي جامع الشكوى والشعور بالضيم ثم الثورة :

قامت به من رجال السوءِ طائفة
أدهى على النفس من بؤس على ثكلِ

---

(١) الألوى : الشديد الخصومة ، الصعب الخلق .
(٢) سريت : كشفت .

من كل وغد يكاد الدست يدفعه بُغضا ويلفظه الديوان عن ملل

* * *

قوم" اذا أبصروني مقبلا وَجَموا غيظا وأكبادُهم تنقد من دَغَل[1]

* * *

بئس العشير وبئست مصرُ من بلدٍ أضحت مناخا لاهل الزور والخطل

أرض تأثّلَ فيها الظلم وانقذفت صواعق الغدر بين السهل والجبل

وأصبح الناس في عمياءَ مظلمةٍ لم يخطُ فيها امرؤ" الا على زلل

* * *

فبادروا الامر قبل الفوت وانتزعوا شِكالة الريث فالدنيا مع العجِل

* * *

هـذى نصيحة من لا يبتغى بدلا بكم وهل بعد قوم المرء من بدل

وفي عنفوان هذا الانسجام وما هو فيه نسي الطغرائي ولاميته فقال :

أسهرت جفني لكم في نظم قافية ما ان لها في قديم الشعر من مثل ..[2]

وتأثر الغربيون بعناية العرب باللامية فعنوا بها **وترجموها** أكثر من مرة وفى اكثر من لغة وبلاد . فلقد طبعها عام **١٦٢٩** Golius مع ترجمة لاتينية وعنه ترجمها الى الفرنسية P. Vattier عام **١٦٦٠** . وقال كرنكو : لعلها ـ أي اللامية ـ أقدم نص من الشعر العربي كان في متناول دائرة واسعة من أوربا . وأعاد H. Van der Sloot طبعها عام **١٧٦٩** في فرانكر ، ونشرها مع ترجمة لاتينية E. Pocock عام **١٦٦١** في اكسفورد ، وأعاد

---

(١) دغل : حقد .

(٢) ينظر ـ فيما ينظر ـ للمعارضة ديوان الزهاوى ص ٣ ، ٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٨ ، ٣٠٨ واشد مقاطيع هذه اللامية ارتباطا بلامية الطغرائى ص ٤١ ـ ٤٢ :

يكفى لاظهار ما فى النفس من دخل يوم من الحزن أو يوم من الجدل

وينظر الشبيبى ص ١٤١ .

طبعها J. Hirth عام ١٧٧٠ في Institutiones Arabicae, Jena
و L. G. Pareau في اوترخت عام ١٨٢٤ ٠

وترجمها الى الفرنسية Raux ونشرها فى باريس عام ١٩٠٣ ٠
والى الانكليزية J. D. Carlyle فى كتابه « نصوص من الشعر العربى »
المطبوع عام ١٧٩٦ باكسفورد ٠ واعاد طبعها W.A. Glaunston فى كتاب
« الشعر العربى » المطبوع عام ١٨٨١ ٠ وترجمها الى الانكليزية عن نص
Pocock اللاتينى L. Chapellow وطبعها في كمبرج عام ١٧٥٨[1] ٠

ولقد اطلعت على عدد من الترجمات ( الانكليزية والفرنسية ) فلم
اجد للمترجمين تعليقات تستحق الذكر ، واكبر الظن انهم اعجبوا لاعجاب
العرب بها ، وانهم نظروا اليها بالعقلية نفسها ٠

---

(١) كرنكو فى دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طغرائى ، المجلد
الرابع ص ٨٢٧ ٠ واسم كتاب كارلايل : Specimens of Arabic Poetry
وكتاب كلوستون : Arabian Poetry ص ١٥٣ ، تنظر ٤٣٣ ٠ وينظر
بروكلمان ١ : ٢٨٦ ـ ٧ ٠

## خاتمة

اعتزل الطغرائي الناس مدة بعد اللامية (٥٠٥هـ) ، ولكن طماحه أكبر من أن يدعه ساكنا قانعا فعاد الى الطغراء بل هاجر الى الموصل حيث الملك مسعود اخو السلطان السلجوقى ( محمود ) فاصبح وزيره ثم انضم الى الفئة المحرضة على محاربة السلطان مدفوعا بطماحه لان يكون وزير السلطان ، ووزير الوزراء ولكنه لقى حتفه عام ٥١٥ ( على أصح الروايات ) اذ امر السلطان بقتله بعد ان خافه ، وخشيت حاشيته فضله فاتهموه بالالحاد والزندقة وما كان كذلك ، فذبح ظلما ومات شهيدا[١] .

والمعجبون بفضله وبشعره غير قليلين ، وللمرء ان يسمع أحاديث المؤلفين على مر العصور ابتداء من العماد الاصبهانى ليرى مكانته ومنزلته ؛ ولكن المعجبين باللامية اكثر واعنف ، ولقد رأينا اطرافا من ذلك الاعجاب الذى أدى الى الرواية والحفظ والاستشهاد والشرح والمعارضة ، وتوالت الشروح واتصل الاعجاب حتى عصرنا الحاضر .

لقد كانت اللامية يوما ما ، واذا أردنا التحديد قلنا : أيام عصر عرف بالفترة المظلمة ،احدى سمات المثقف ، واحدى القصائد التى احتلت المنزلة العليا وعدت « مهمات المتون » ونزلت منزلة « المعلقات » .

ولعلك تتذكر ان من تلك القصائد : بانت سعاد ، وعينية البوصيري وهمزيته ، ولامية العرب ... واذا نسيت هذه أو تناسيتها بسبب أو آخر ، انك لا تنسى ولا تتعصب للامية تحكمت فى عصرها وسيطرت عليه سيطرة تامة ، تلك هى « لامية ابن الوردي » ـ الامام سراج الدين ( المتوفى سنة ٧٤٩ ) :

اعتزل ذكر الغواني والغزل    وقل الفصل وجانب من هزل..[٢]

---

(١) الطاهر ١ : ٨٧ ـ ٩٦ .

(٢) ومما يذكر انه جاء على الصفحة ٣٣٨ من المجموع الذى طبعته الجوائب وضم ـ فيما ضم ـ ديوان « الشيخ الامام العلامة..ابن الوردى..»: « ومما ينسب اليه وقد اشتهر عند الخاصة والعامة ولكن لم يوجد فى ديوانه : اعتزل ... اللامية .. »

واخص ما يتميز به الذوق الذى أخذ بهذه القصائد ، خضوعه لسلطان « الحكم والامثال » وما اليهما من نصائح وتوصيات ومواعظ فى الاخلاق والتقى ؛ اى انه كان يرى الشعر « تعليما » ، ولا يشترط له ان يكون شعرا .

لهذا ، لم يزهنا اعجابه بما سماه « لامية العجم » ، ولم يزهنا المخضرمون الذين ورثوا هذا الاعجاب ؛ كما لم يزهنا اعجاب المستشرقين الذين ترجموا - اذ ترجموا اللامية - قصائد على أكبر حظ من الرداءة الفنية واقل نصيب من الشاعرية . لقد كان اعجابهم - او اهتمامهم - ان شئت - قرينا لاهتمام المخضرمين وامتداداً لذوق الفترة المظلمة - وهذا ما لا يشرف لامية الطغرائى كثيرا .

اننا اليوم عندما نقرأ الطغرائي ونعجب بلاميته قد نكون اصدق نظرة وأدق حكما من اسلافنا ، فلم نعد نؤخذ بمكانة الرجل من الدولة والعلم ولا بما للامية من فخامة اللفظ ووجوه البديع و « الامثال والحكم » فقط ، انما يستهوينا - أول ما يستهوينا عمق التعبير واصالة الشاعرية والاطوار النفسية التى يتقلب بينها الشاعر وهو يعرب عن اشد أزمة وقع فيها فاصابته فى صميم طماحه ، ولقد كان من القوة بحيث اعرب عن الآخرين وهو يعرب عن نفسه . واذا اختلفنا واياه فى هذا المعنى أو ذاك فيكفيه انه استوعب عصره وعكسه مذابا فى كلمه بتمكن و « استاذية » .

واذن ، فقد احتفظت اللامية بتقدير عصرنا الحديث واطاقت مقاييسه ، ونجحت اذ سقطت معاصراتها - وعلى رأسها : « اعتزل ذكر الغواني والغزل » ؛ وبقيت وحدها من تلك « المتون » مما يستطيع ان يدخل المجموعة الجديدة التى يمكن ان نختارها اليوم لمهمات المتون فى الشعر العربى .

لقد اجتازت لامية الطغرائي دور التجربة ، ودلت على انها تحمل من عناصر الفن ما يحفظ لها البقاء طويلا على مر الاجيال واختلاف الاذواق .

## المصادر والمراجع


آقا بزرك ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة ، ج ٩ ، ق ٢ ، ط ١ ، طهران ، ١٩٥٩ ·

ابن حجة ـ بروق الغيث · مخ · ليدن ، رقم ١٠٣٦ ·

ابن جماعة ـ التعليقة ، مخ · المكتبة الوطنية ، پاريس ، رقم ٣٣٦١ من فهرس دسلان ·

ابن خلكان ـ وفيات الاعيان ، القاهرة ، مطبعة الوطن ، ١٨٩٩ ·

ابن الدمياطى ـ ينظر الحسامى ···

ابن زاكور ـ كتاب تفريج الكرب عن قلوب أهل الادب فى معرفة لامية العرب ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٢٨ ·

ابن كثير ـ البداية والنهاية فى التاريخ · القاهرة ، مط · السعادة ١٩٣٢ ·

ابن الوردى ـ ديوان ابن الوردى ، الاستانة ، الجوائب ، ١٣٠٠ ( ضمن مجموع اوله : لامية العرب ··· ) ·

أبو الفدا ـ تاريخ ابى الفدا ، استانبول ١٢٨٦/١٨٧٠ ·

البارزى ـ مختصر الوفيات · مخ · المكتبة الوطنية ، پاريس ، رقم ٢٠٦٠ ·

البارودى ـ ديوان البارودى ، مطبعة الجريدة ( ضبطه وشرحه محمود الامام المنصورى ـ احد علماء الازهر ) ·

مختارات البارودى ، القاهرة ١٩٢٧ ـ ١٩٢٩ ·

البصير ـ عصر القرآن · بغداد ( مط · المعارف ) ١٩٤٧ ·

البندارى ـ زبدة النصرة ، ليدن ، ١٨٨٩ ·

حاج خليفة ـ كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون · استانبول ١٣٦٠/١٩٤١ ، لندن (ط · فلوجل) ١٨٥٠ ·

الحضرمى ـ نشر العلم فى شرح لامية العجم ، القاهرة ، ١٣٠٩ ·

الحسامى ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ، مصور فى المجمع العلمى العراقى ، ٥٨ـم ·

حسن ( محمد عبدالغنى ) ـ معرض الادب والتاريخ · ط،٢، القاهرة ١٩٥٨ ·

خضر ( عبدالرحمن ) ـ جريدة الاستقلال ، السنة الخامسة ، العدد ٦٦٩ ، بغداد ١٩٢٤ ·

الخاقانى ( على ) ـ مخطوطات المكتبة العباسية فى البصرة ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد الثامن ، بغداد ، ١٩٦١ ٠

الخوانسارى ـ روضات الجنات ٠ فارس ١٣٠٤ ٠

الدمامينى ـ نزول الغيث الذى انسجم على شرح لامية العجم ٠ مخ ٠ دار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٤١ ٠ ليدن ، رقم ١٠٠٦ ٠

الدميرى ـ شرح لامية العجم ٠ مخ ٠ كمبرج رقم ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ٠

الراوى (طه) ـ لامية العجم ، مجلة الصبح ، بغداد ، العدد ٥ ـ ٧ ، ١٩٣٦ ٠

رضائى ( على ) ـ عود الشباب ( مختصر خريدة القصر للعماد ) مخ ٠ فينا رقم ٢٤٦ ، نور عثمانية ، مصورتان فى المجمع العلمى العربى بدمشق ٠

الزمخشرى ـ أعجب العجب فى شرح لامية العرب ، الاستانة ( الجوائب ) ١٣٠٠ ٠ ( ضمن مجموع اوله لامية العرب ٠٠ )

الزهاوى ـ ديوان الزهاوى ، القاهرة ، ١٩٢٤ ٠

السبكى ـ طبقات الشافعية ، القاهرة المطبعة الحسينية ، ١٣٢٤ ٠

السمعانى ـ مذيل تاريخ السمعانى ( مختصر ) ، مخ ٠ ليدن ، ٢٦

سركيس ـ معجم المطبوعات العربية ( حتى عام ١٩١٩ ) القاهرة ١٣٤٦/ ١٩٢٨ ٠

السويدى (عبدالله) ـ رشف الضرب من شرح لامية العرب ، مصورة فى المجمع العلمى العراقى ، ١٦٥ ـ م ٠

السيوطى ـ الكنز المدفون ، القاهرة ١٢٨٨ ٠

الشاوى (سليمان) ـ شرح لامية العرب ، مصورة فى المجمع العلمى العراقى، ١٦٦ ـ م ٠

الشبيبى ( محمد رضا ) ـ ديوان الشبيبى ، القاهرة ، ١٩٤٠ ٠

الشرق ـ جريدة اصدرها حسين افنان ، بغداد ، العدد ، ٩ ، ٥٣ ، سنة ١٩٢٠ ( الابيات الخالدة ) ٠

الشروانى ـ نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ٠ كلكتا ١٨١١ ٠

الشريف الرضى ـ ديوان الشريف الرضى ، بيروت ، دار صادر ودار بيروت ١٩٦١/١٣٨٠ ٠

شيخو ( لويس ) ـ مجانى الادب ، بيروت ١٩٣٠ ٠

الصفدى ـ كتاب الغيث المسجم فى شرح لامية العجم ، القاهرة ، ١٣٠٥
ـ الوافى بالوفيات ، ج ١١ ، مخ ٠ المجمع العلمى العربى بدمشق، رقم ٨٧ ٠

الصنهاجي ـ ايضاح المبهم فى شرح لامية العجم · مخ · المتحف البريطانى ٧٧٧ ، دار الكتب المصرية ١٠١٩ ·

طاشكبرى زادة ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، حيدر آباد ١٣٢٨ ·

الطاهر ( على ) ـ الشعر العربى فى العراق وبلاد العجم فى العصر السلجوقى ج ١ ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٥٨ ·

ـ الشعر العربى ··· ج ٢ ، بغداد ، مطبعة العانى ، ١٩٦١ ·

ـ مقالة عن « حياة الطغرائى » فى مجلة الاستاذ ، المجلد السادس ، بغداد ١٩٥٨ ·

ـ مقالة عن « شعر الطغرائى » فى مجلة كلية الآداب ، المجلد الاول ، بغداد ١٩٦٠ ·

الطغرائى ـ ديوان ، القسطنطينية ، مط · الجوائب ١٣٠٠ ·

ـ ديوان مخ · المتحف البريطانى رقم ٧٥٥٨ ·

ـ ديوان مخ · استانبول ، راغب باشا ، رقم ١١٠٧ ·

طه حسين ـ جنة الشوك ، القاهرة ، ١٩٥٢ ·

العاملى ( محسن ) ـ أعيان الشيعة الجزء الـ ٢٧ ، دمشق ( مطبعة الاتقان ) ١٩٤٨ ·

العسقلانى ـ الدرر الكامنة فى اعيان المئة الثامنة ، حيدر آباد ، ١٣٤٩ ـ ·

العماد ( الاصبهانى ) ـ خريدة القصر ( فى عود الشباب لعلى رضائى ) ·

ـ نصرة الفترة وعصرة القطرة · مخ · باريس ٢١٤٦ ·

الفاخورى ( حنا ) ـ تاريخ الادب العربى ط ٢ ، بيروت ١٩٥٣ ·

القلقشندى ـ نهاية الارب فى معرفة انساب العرب ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، القاهرة ١٩٥٩ ·

القمى ( عباس ) ـ الكنى والالقاب ، صيدا (مطبعة العرفان) ١٣٥٧ ـ ٨ ·

الكفوى ـ شرح لامية العجم ، مخ · المتحف البريطانى ٥٩٤ ٢٣ ·

الكنعانى ( نعمان ) ـ شعراء الواحدة ، بغداد ، ١٩٤٥ ·

المرصفى ( محمد حسن ) ـ أدب اللغة العربية ، القاهرة ( المطبعة الحسينيه ) ١٩٠٨ ·

مظهر ( اسماعيل ) ـ مجلة الرسالة ، القاهرة ، السنة السادسة ، ١٩٢٨ ، العدد ٥٢٩ باب : تأملات فى الادب والحياة ، الطغرائى الشاعر ٠

الميناوى ـ تحفة الرائى للامية الطغرائى ٠ القاهرة ( بولاق ) ١٣١١ ٠

الوهابى ( خلدون ) ـ مراجع تراجم الادباء العرب ، ج ٣ ، النجف ١٩٥٨ ٠

الهاشمى ( أحمد ) ـ جواهر الادب ٠ القاهرة ١٣٤٧/١٩٢٨ ٠

ياقوت ( الحموى ) ـ معجم الادباء ( ارشاد الاريب ) ، القاهرة ، دار المأمون ٠

## مراجع بلغات أجنبية

Brockelmann — Geschichte der Arabischen Litteratur, 2e ed.
Leyde 1943; 2 Vol. in 8e
——— Supplementand. heyde 1937, 3 Vol.

Chapellow — The Traveler … (Togroi). Cambridge, Mdcclviii

Derenbourg — Les Man uscrits Brabes de L'Escurial, Paris, 1884

Glouston (W.A.) — Arabian Poetry, Glasgow 1881.

Huart — Littérature Arabe, paris, 1902.

Krenkow — Encyclopdia of lslam, ar. Tograi

Raux (A) — La Lamiyyat al-Adjam d'et-Togü Paris, 1903.

# الفهرست

